«بوتين»

الثعلب الأحمر

# فلاديمير بوتين

## الثعلب الأحمر

يوسف أبو الحجاج الأقصري



# تقديم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

وبعد

بين يديك عزيزي القارئ مختصر موجز لقصة الثعلب الأحمر المسمى «فلاديمير بوتين» الذي تربع على عرش الكرملين لنحو عقدين من الزمان في ظروف غامضة وغير متوقعة على الإطلاق..

رجل ينتمي للأجهزة الاستخباراتية الأمنية الروسية استطاع أن يقفز إلى عرش الكرملين..

تولى رئاسة روسيا بالوكالة في 31 ديسمبر 1999م بعد استقالة الرئيس الروسي السابق له «بوريس يلتسين» وانتخب رئيسا لروسيا في 26 مارس 2000م، وفي صيف نفس العام أحكم قبضته على مقاليد الأمور...

شهدت فترة ولايته لروسيا عدة متغيرات في الساحة السياسية الدولية وأعيد انتخابه عدة مرات في 2004، 2008م وهكذا شغل منصب رئيس وزراء روسيا إلى جانب منصبه الرئاسي منذ عام 2008م.

شهدت روسيا في عهده عودة الاعتقالات، واستطاع أن يعيد هيبة روسيا التي ضاعت بعد تفكك الاتحاد السوفييتي.

كانت معارضته للحرب الأمريكية على العراق مجرد معارضة لم ترتقي لحد التدخل السوفييتي هناك.

تدخل بوتين كلاعب سياسي في أحداث سوريا ولعب دوراً محوريا حال دون التواجد الأمريكي في سوريا.

تميزت ولايته بالعديد من المتناقضات جعلت منه شخصية لابد من إلقاء الضوء عليها من خلال هذا الإصدار.

**والله الموفق والمستعان**

**المؤلف**

**د. يوسف أبو الحجاج الأقصري**

# الثعلب الأحمر

# «فلاديمير بوتين الثعلب الأحمر الروسي»

## «بطاقة تعارف»

**الاسم:** فلاديمير بوتين

**المنصب:** رئيس الاتحاد الروسي

**الميلاد:** 7 أكتوبر 1952

**مكان الميلاد:** لينغراد ـ الاتحاد السوفييتي

**الإقامة:** دريسدن 1985 ـ 1990

سان بطرسبرج (1990 ـ 1996

موسكو 1996 ـ حتى الآن 2017م

**العرق:** روسي

**الوزن:** 77 كيلو جرام

**الديانة:** مسيحي تابع للكنيسة الروسية الأرثوذكسية

**الحزب:** روسيا المتحدة ـ الحزب الشيوعي السوفييتي

**الزوجة:** لودميلا بوتينا تم الطلاق في يونيو 2013م

**الأبناء:** ماريا وكاترينا

# «فلاديمير بوتين في سطور»

فلاديمير بوتين الرئيس الحالي لجمهورية روسيا الاتحادية، ولد في تشرين الأول «أكتوبر» عام 1952م في لينجراد «سانت بطرسبورغ حاليا»، خريج كلية الحقوق من جامعة لينجراد عام 1975م، وأدى خدمته العسكرية في جهاز أمن الدولة.

*) عمل في جمهورية ألمانيا الشرقية في الفترة من عام 1985 ـ 1990م ثم تولى منصب مساعد رئيس جامعة لينجراد للشئون الخارجية منذ عام 1990م ثم أصبح مستشاراً لرئيس مجلس مدينة لينجراد.

*) تولى منصب رئاسة لجنة الاتصالات الخارجية في بلدية سانت بطرسبورغ «لينجراد سابقا» منذ يونيو 1991م، وفي الوقت نفسه تولى منصب النائب الأول لرئيس حكومة مدينة سانت بطرسبورغ منذ عام 1994م.

*) أصبح نائبا لمدير الشئون الإدارية في الرئاسة الروسية منذ أغسطس 1996م، ثم أصبح نائبا لمدير ديوان الرئيس الروسي ورئيسا لإدارة الرقابة العامة في الديوان منذ مارس 1997م.

*) في مايو 1998م أصبح نائبا أول لمدير ديـوان الرئيس الروسي ثم عين في يوليو 1998م مديرا لخدمة الأمن الفيدرالي في روسيا الاتحادية وتولى في الوقت نفسه منصب أمين مجلس الأمن في روسيا الاتحادية منذ مارس 1999م.

*) في أغسطس 1999م أصبح رئيسا لحكومة روسيا الاتحادية وذلك باختيار من الرئيس بوريس يلتسن، وتولى اختصاصات رئيس روسيا الاتحادية بالوكالة منذ 31 ديسمبر 1999م بعد استقالة الرئيس الروسي بوريس يلتسن.

*) انتخب في 26 مارس 2000م رئيسا لروسيا الاتحادية وتولى منصبه في 7 مايو 2000م، وأعيد انتخابه للرئاسة في 14 مارس 2004م وهو يشغل منذ 8 مايو 2008م منصب رئيس وزراء روسيا الاتحادية أيضاً.

*) أعيد انتخابه رئيسا لجمهورية روسيا الاتحادية في 8 مارس 2012م ذلك بعد فرز 88,06% من الأصـوات وتبين حصوله على 64,72% من الأصـوات وهو ما لا يجعل هناك حاجة إلى جولة ثانية من الانتخابات حيث يشترط القانون حصول الفائز على أكثر من 50% للفوز بالانتخابات من المرحلة الأولى، وكانت جهات من المعارضة قد اتهمته بتزوير الانتخابات وخرجت على أثرها مظاهرات عدة معارضة له..

*) حصل على المركز الأول في قائمة مجلة فوربس لأكثر الشخصيات العالمية تأثيرا عام 2013م وعام 2014م، وعام 2015م على التوالي.

*) في عام 2014م فاز فلاديمير بوتين بوسام التميز لأكثر الشخصيات تأثيرا في العالم من قائمة الملوك والرؤساء وكبار السياسيين، وذلك خلال التصويت الذي دشنه المجلس الدولي لحقوق الإنسان والتحكيم والدراسات السياسية والاستراتيجية.

*) كانت لودميلا بوتينا هي زوجة فلاديمير بوتين إلى أن أعلنا طلاقهما عبر التليفزيون الرسمي في يونيو 2013م، وأنجب الزوجان ابنتين هما ماريا ولدت عام 1985م، وكاترينا ولدت عام 1986م.

*) من المعروف أن فلاديمير بوتين عارض الحرب الأمريكية على العراق وهو يتقن اللغتين الإنجليزية والألمانية إلى جانب الروسية وحاصل على شهادة الدكتوراه في العلوم الاقتصادية.

## تحليل شخصية بوتين

*) نشر موقع الخليج أونلاين تحليلاً لشخصية فلاديمير بوتين تحت عنوان: بوتين شخصية مركبة غريبة الأطوار تطمح لبلوغ القيصرية جاء فيه: ـ

*) لا يخفى على مَنْ يتابع التحولات في منطقة الشرق الأوسط محاولات الدب الروسي حجز مكانه في المقعد الأمامي مجدداً، أو

ربما التربع على عرش المنطقة مرة أخرى، وذلك بطرق عدة قد لا تبدو مفهومة للدول الأخرى، مما جعل الرئيس الروسي فلاديمير بوتين يتحول إلى شخصية مركبة، فلم يعد من الممكن توقع ما الذي سيفعله ليطبق فكرة وحلم الإمبراطورية الروسية التي تحتل ذهنه من جديد..

*) وبالنظر إلى تصريحات بوتين الأخيرة والتحركات التي أمر بها سواء في سوريا أو أوكرانيا أو فيما يخص الأزمة الروسية التركية، وأسلوب خطابه الحاد ضد الغرب، نرى أن تغييرا جذريا طرأ على شخصيته منذ تسلمه الحكم حتى عام 2015م وهو ما يوجب تحليل هذا التغير والوقوف عنده ومعرفة أسبابه وتبعاته.

*) لقد تحول «بوتين» من عام 1999 حتى 2015م من حاكم عقلاني إلى مستبد، لقد تبنى بوتين بعد تسلمه للحكم عام 1999م خطابا براجماتيا ففي مخاطبته لشعبه استخدم الأسلوب التعبوي الوطني، وفي السياسات الخارجية كان يتصرف بعقلانية، واعتبر أن التعاون المشترك مع دول الغرب، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية هي استراتيجية مهمة ما دام أن الملفات التي يتعاونون بها فيها مصلحة لروسيا، فعلى سبيل المثال سارعت المخابرات الروسية إلى مشاركة المعلومات الاستخباراتية التي جمعتها عن تنظيم القاعدة مع الإدارة الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر.

*) وفي طريقة إدارته للكرملين اعتاد بوتين أن يتخذ مستشارين من جميع الأطياف السياسية، فكان يستمع للمعارض والمؤيد ويتقبل النقد من الجميع، وكانت صلاحيات الوزارات واضحة، ولم يُعرف عنه الكثير من الانفراد باتخاذ القرار، هذا إلى جانب تخليه عن النموذج الاشتراكي في الاقتصاد ودعمه للنخبة الروسية ورجال الأعمال وتشجيعهم على التجارة مع دول الغرب وتعزيز استثماراتهم.

*) لكن مع مرور الوقت بدأ بوتين بالتغير، فترك البراغماتية التي عُرف بها وتبنى خطاباً وطنياً حاداً مُعادياً للغرب، انعكس على قراراته السياسية والإجراءات الداخلية التي اتخذها، فقد صنف كل المنظمات التي تتلقى جزءا من تمويلها من الخارج كـ «عميل أجنبي» وضيق على فعاليات منظمات المجتمع المدني وحرية الصحافة، وأقصى كل من يعارضه من بين مستشاريه، مبقيا نفسه محاطاً بمن يوافقه الرأي تماماً، كما أنه حول الكنيسة الأرثوذكسية إلى متحف باسمه.

*) وفي إدارته للكرملين تحول لشخصية مستبدة ينفرد باتخاذ القرارات المتعلقة بشئون الدولة المختلفة، فبحسب ما ذكرت تقارير سابقة فإن قرار اجتياح «أوكرانيا» اتخذ من قبل بوتين دون الرجوع إلى وزير الدفاع، ولا إلى وزير الشئون الخارجية في حينه وهو ما يدل على سعيه للقبض بيد واحدة على جميع شئون روسيا.

*) هناك تحليلات كثيرة أفادت بأن تحول شخصية بوتين جاءت

نتيجة لإدراكه وجود فرص عديدة داخل الأزمات التي تعصف بالشرق الأوسط خاصة بعد حرب العراق عام 2003م وانشغال الولايات المتحدة الأمريكية بآثار تلك الحرب، والأزمة الاقتصادية الحادة التي تلتها بعد ذلك عام 2008م، وعليه؛ وجد بوتين الفرصة ليجعل من نفسه «القيصر الجديد» ويتربع على عرش الإمبراطورية الروسية التي أعاد تعريفها من جديد.

*) ففي خطاباته في السنوات الأخيرة بدأ بوتين يشدد على أن روسيا ليست جنسية أو عرقاً بل حضارة تعود جذورها لآلاف السنين، وأن كل من يتحدث الروسية أو ينتمي للعرق الروسي أو يشعر بأنه روسي فهو ينتمي لـ «للأمة الروسية» وأن من واجب الكرملين بقيادة بوتين حمايته والعمل لأجله.

*) إلى جانب ذلك يستخدم بوتين أسلوب الترهيب وخلق العدو الخارجي من أجل توحيد الروس والالتفاف حوله كقائد قوي وقادر على حماية مصالحهم، ففي خطاباته أيضا أصبح يركز على أن الغرب والتعامل معه يهدد القيم والثقافة الروسية، وأن على الروس الانتباه من الانخراط فيها، وعليه تضعضعت العلاقة بينه وبين النخبة الروسية التي درس غالبيتها في الجامعات الأوروبية والأمريكية فقطع الدعم عنهم وهددهم بالتخوين إذا لم يتوقفوا عن ضخ الأموال خارج روسيا.

*) ويشدد بوتين على أن الحضارة الروسية هي حضارة مميزة واستثنائية ومهددة وأن جميع روس الشتات هم جزء لا يتجزأ من هذه الحضارة، وبناء على هذا الخطاب كان التدخل الروسي في أوكرانيا الذي جاء بحجة حماية «العرق الروسي» وإسقاط الحكومة الموالية للغرب هناك.

*) وبشكل مشابه يرى مراقبون أن التدخل الروسي في سوريا وما تبعه من أزمة مع تركيا، يهدف إلى حد كبير إلى تعزيز صورة القائد الحاسم والقوي في ذهن الشعوب في شرق أوروبا ودول الاتحاد السوفييتي السابقة كتمهيد لاستقطاب هذه الشعوب والحكومات للمعسكر الروسي بعيداً عن الولايات المتحدة.

*) وعلى الرغم من أن النقاش حول شكل روسيا وحدودها وهويتها بعد انهيار الاتحاد السوفييتي قد أخذ نقاشاً طويلاً في الماضي إلا أن بوتين جاء مؤخراً بما يشبه محاولات لتطبيق أحد السيناريوهات الماضية بتعزيزه الهوية الوطنية وتحويل روسيا إلى إمبراطورية ذات حضارة عميقة في التاريخ وبتجنيده للكنيسة والإعلام لا يستبعد أن يتابع بوتين طموحه بالتوسع لضم دول الاتحاد السوفييتي السابق، وربما دول أخرى إلى محيط سيطرته التامة لكي يحقق الإمبراطورية الروسية التي يتخيلها في ذهنه.

*) وذلك لا يعود فقط إلى عوامل استراتيجية إنما هو متعلق

أيضاً بشخصية الرئيس الروسي نفسه«فلاديمير بوتين» فهو لا يوفر جهدا ليعرض نفسه كقائد قوي وحاسم ومستعد لاتخاذ إجراءات وخطوات مدمرة وانعكس ذلك على تصريحاته المبالغ فيها ضد تركيا بعد إسقاط الجيش التركي لطائرة السوخوي الروسية إلى جانب تهديداته الأخيرة حول احتمال تركيب رؤوس نووية على الصواريخ الروسية، وهي تصريحات مضحكة لعدم واقعيتها للوهلة الأولى، إلا أن صدورها من شخصية غريبة الأطوار يجعل أخذها على محمل الجد ضرورة مُلحة.

## تحليل آخر لشخصية بوتين

صاحب هذا التحليل هو الدبلوماسي الروسي «فلاديمير فيديروفسكي» في كتاب أصدره عن حياة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين يقول تحليل شخصية فلاديمير بوتين يلزمنا العودة إلى سنوات شبابه حيث كان يعيش في حي فقير من سان بطرسبورغ في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية بسنوات طوال، فترة طفولته في خمسينيات القرن العشرين تركت آثارها الراسخة في شخصيته وولدت لديه رغبة جموحة في العيش وحساً وطنيا حقيقيا على خلفية القناعة أن روسيا بلدا عانت الكثير من الظلم وكان الجرح الكبير في حياته بعد ذلك هو سقوط الشيوعية وضياع الإمبراطورية السوفييتية العظيمة.

*) ويستطرد الكاتب الروسي قائلاً في كتابه اختار عنوانه «بوتين المسار السري» قائلاً: - تساءل الكثيرون هل بوتين قيصر متسلط؟ هل هو جيمس بوند الذي تربى في كنف الأجهزة السرية ويشكل خطراً على السلام العالمي؟ أم على العكس هو قائد متبصر يدافع عن مصالح بلاده وعن التوازن في العالم؟

*) ويجيب قائلاً: السمة الأولى التي يمكن التأكيد عليها في شخصية فلاديمير بوتين هي أنه رجل غامض، وأنه حرباء بفطرته حيث يتقن كيف يتلون حسب الظروف تبعا لما تقتضيه مصالحه.. وأنه حافظ باستمرار في عمله على الطرق التي كان قد تدرب عليها في سنوات عمله الطويلة كأحد ضباط الجهاز السري السوفييتي السابق الشهير «كا. جي. بي».

*) ويشير الخبير السوفييتي إلى أن بوتين لم يحافظ فقط على تلك الطرق بل برع فيها خاصة فيما يتعلق بخلط الأوراق بحيث لا تبدو آثار للأفعال الجارية، لقد تولى بوتين منصب رئيس وزراء روسيا في أواخر عهد يلتسين عندما كانت الحرب الشيشانية مستعرة بقوة وقد ناور فلاديمير بوتين بقدر كبير من المهارة حيال مجموع القوى والفئات السياسية الروسية كي يستطيع أن يفرض نفسه في النهاية كوريث غير منتظر لبوريس يلتسين، وكي يواجه من هذا الموقع التحديات الكبرى للقرن الحالي، الحادي والعشرين .

*) وهناك تأكيد على أن لبوتين صوراً متعددة الوجوه بحيث إنه يستطيع في كل موقف أن يختبئ ويظهر الصورة التي تلائم ذلك الموقف.

*) قد يبدو الغموض في تعابير وجهه خلف نظرته غير المحددة أحيانا والعميقة أحيانا أخرى، في تقطيب حاجبيه، في حركات شفتيه وله قدرة خارقة على التلون.

*) وهناك ملاحظة عميقة فهو يدفع الآخرين الذين يتحدث معهم للاعتقاد أنه مثلهم وواحد منهم وأنه مرآة يمكن لكل متحدث أن يجد نفسه فيها، باختصار يستطيع الدخول في أي قالب.

*) ويشير الخبير فلاديمير فيديروفسكي إلى أن لفلاديمير بوتين خمسة وجوه سياسية متباينة فيما بينها.. الوجه الأول هو وجه «الكا. جي. بي» حيث بدأت مغامراته مع ذلك الجهاز بنوع من الحكايات الخيالية حيث كان حلمه الأول هو أن يصبح مثل جيمس بوند ولكن على الطريقة الروسية، الوجه الثاني هو وجه سان بطرسبورغ، ففي تلك المدينة خط الملامح الرئيسية لما ستكون عليه طريقة بوتين في العمل السياسي والعمل العام إجمالاً، الوجه الثالث هو ذلك الوجه الذي صاغته مرحلة الصعود القوي نحو الرئاسة والوصول للكرملين، والوجه الرابع اكتسبه مع وصوله إلى الكرملين حيث كان همه الأول هو أن يبدو في ملامح رجل الدولة، والوجه الخامس

والأخير تزامن مع ظهور الاحتجاجات الشعبية الأولى حيال حكمه والتي أشار المشاركون فيها إلى أنهم يريدون روسيا بدونه.

*) ومن نقاط القوة في شخصية بوتين أن شعبيته لا تتضاءل ولا يزال يحظى بتأييد 75 % من الروس وأنه تتم بسهولة مقارنة بوتين بستالين، ومن نقاط القوة في شخصيته أيضاً أنه نجح في فرض رسالة مفادها ضرورة عودة روسيا إلى قوتها الكبرى على المسرح الدولي.

*) أما نقاط الضعف في شخصية بوتين في مقدمتها وجود الفساد داخل مؤسساته حيث ثبت أن 13 مليار دولار جرى اختلاسها عند تنظيم دورة الألعاب الأولمبية في منطقة سوتشي، كما حرص بوتين على عدم الاعتراف بأي ذنب لروسيا على صعيد الأحداث كما أنه يؤكد على الاستمرارية من القيصرة الروسية وأنه سيحكم بالإمبراطورية الروسية مرة أخرى.

# «أشهر أقوال بوتين»

* الخيار الديمقراطي الذي اتخذه الشعب الروسي في أوائل التسعينيات نهائي.

* أنا ممتن إلى الأبد لمواطني روسيا لأنهم قد وثقوا بي كي أكون رئيس الحكومة الروسية.

* أهدافنا واضحة تماماً، مستوى معيشي عال في البلاد، وحياة آمنة وحرة ومريحة.

* الراديكالية يمكن العثور عليها في أي بيئة.

* لن تصبح روسيا نسخة ثانية من الولايات المتحدة أو إنجلترا حيث القيم الليبرالية لها جذور تاريخية عميقة.

* لقد ترعرعت في عائلة عادية جداً في الواقع، أسرة العامل، كان كل من والدي ووالدتي مواطنين عاديين.

* أفضل التخلي عن مصطلحات الماضي، القوة العظمى عبارة استخدمت خلال الحرب الباردة.. لماذا تستخدم الآن؟

* ستالين هو الشخصية الأكثر شعبية في كل روسيا.

* اللصوص يجب أن يبقوا في السجن.

* ينبغي حظر ممارسة العنف والإرهاب والجنس أيضاً.

* أي شخص لا يأسف لرحيل الاتحاد السوفييتي لا يوجد لديه قلب، وأي شخص يريد عودة الاتحاد السوفييتي ليس لديه عقل!!

* لا أحد ولا شيء سوف يمنع روسيا من الاستمرار على طريق تعزيز الديمقراطية وضمان حقوق الإنسان و الحريات.

* القدرة على حل وسط ليس بالأدب الدبلوماسي مع الشريك بل هو مراعاة واحترام المصالح المشروعة لشريكك.

* لا يجب على أحد أن يعلق آماله بمعجزة.

* التاريخ يثبت أن جميع الدكتاتوريات، وجميع أشكال السلطوية للحكومة هي زائلة، النظم الديمقراطية هي التي تثبت، مهما كانت أوجه القصور فيها فإن البشرية لم تضع أي شيء أفضل.

* ينبغي أن لا يتوهم أحد إمكانية كسب التفوق العسكري على روسيا، لن نسمح لهذا أن يحدث أبدا.

* روسيا لا تريد مواجهة من أي نوع، ونحن لن نشارك في أي نوع من التحالف المقدس.

* أعتقد أن الشعب الأمريكي يجب عليه التعبير عن رأيه ونحن سوف نقبل اختيارهم.

* أولئك الذين يحاربون الفساد يجب عليهم تنظيف أنفسهم.

* روسيا هي جزء من الثقافة الأوروبية وبالتالي فمن الصعوبة أن

أتصور الناتو كعدو.

* في بعض الأحيان من الضروري أن تكون وحيداً من أجل إثبات أنك على حق.

* لم يكن الطريق نحو مجتمع حر سهلاً، هناك صفحات مأساوية ومجيدة في تاريخنا.

* نحن في روسيا نحتاج لدولة قوية وهذا ما يجب أن يكون ولكن أنا لا أدعو للشمولية.

* لغتي الإنجليزية سيئة للغاية...

« ملحوظة بوتين يجيد الإنجليزية».

# الثعلب يستعد
# للانقضاض على الكرملين

## الثعلب يستعد

*) لم يكن ظهور بوتين على قمة عرش الكرملين مجرد مصادفة أو ضربة حظ على الإطلاق بل تم الإعداد له مسبقا وبكل عناية لقد كانت الانتخابات البرلمانية الروسية عام 1999م هي البروفة النهائية لوريث عرش الكرملين «بوتين» والذي تدعمه كل عائلة يلتسين السياسية وكانت انتخابات مجلس الدوما في 19 كانون الأول عام 1999م عبارة عن منافسات برلمانية أشبه بالانتخابات الأولية بالنسبة «لبوتين» والمرشحين الآخرين الذين كانوا سيتنافسون بعد ثلاثة أشهر فقط على عرش الكرملين ولو بصورة صورية.

*) كانت أولى الخطوات التي تمت كي يستعد الثعلب للانقضاض على عرش الكرملين هي القضاء على منافسيه الأساسيين وتكون قاعدة له في البرلمان الجديد.

*) لقد شكل الكرملين خلال أسابيع قليلة فقط حركة دعاها «الوحدة» وكان مهندس هذه الحركة ومؤسسها «بيريزوفسكي» وهو

ذو معين لا ينضب من الأفكار وأحد المهيمنين على وسائل الإعلام الروسية وكان أهم المنظمين لهذه الحركة المؤيدة للكرملين أو بمعنى أدق المؤيدة للوريث «بوتين».

*) كان لهذا الإعلامي «بيريزوفسكي» دوراً مؤثرا وفعالا في ذلك فهو الذي سافر إلى مختلف الأقاليم وأقنع حكامها بمساندة حركة الكرملين الجديدة «الوحدة» بدلا من حزب أرض الأجداد وكل روسيا الخاص بلوجكوف وبريماكوف...

*) لقد جهزت حاشية يلتسين كل شيء بدقة وأعلنت الطوارئ في صفوفها وكانت منهمكة لانتصار وريثها «بوتين» دون منافس له عندما يتقدم لانتخابات الرئاسة.. كان الضغط واضحا على كل وسائل الإعلام لتلميع صورة «بوتين» الرئيس القادم ليتربع على عرش الكرملين.

*) لعبت حاشية يلتسين دورا هاما من أجل تربع الثعلب على عرش الكرملين من خلال الحصول على دعم حكام الأقاليم المختلفة وجمع المعلومات التي تكشف عيوب وأخطاء المنافسين المحتملين لبوتين وتعريض سمعتهم للخطر، وكانت حملة هؤلاء الداعمين لبوتين محمومة وكانت توحي بأنهم يتوقعون دعم بوتين لهم عندما يفوز بالرئاسة ويتربع على عرش الكرملين.

في البداية قله قليلة من الشعب الروسي هم الذين صدقوا مسألة تكوين حزب جديد للكرملين وهذا طبيعي لأن كل المؤشرات تشير

إلى أن الحزب هو حزب حكومي له هدف معين ومهمة معينة ورغم ذلك بدأ بعض الروس يتساءلون كيف يمكن لهذه الحركة أن تكون جديدة وهي تتواجد قبل بضعة أشهر فقط من انتخابات الرياسة ولكن شيئا فشيئاً اكتسبت الفكرة وجودا ماديا حقيقياً على الساحة السياسية واختير لزعامة حركة الوحدة هذه أشخاص يفترض بأنهم كانوا يمثلون تجسيدا حقيقياً للقوة والحزم وأنهم جاءوا لشيء خطير ومهمة حتمية وهي تجهيز الثعلب الأحمر بوتين للانقضاض على عرش الكرملين دون منافس حقيقي، شملت القوة الداعمة لبوتين وزير الطوارئ سيرجي شويغوا وبطل العالم في المصارعة الكسندر كاريالين ووزير الداخلية الروسي الجنرال ألكسندر غروف الذي حارب المافيا الروسية، كان هذا الدعم يمثل بالتلويح صور البطولة والرجولة والمصارع العالمي والشرطي الصالح لقد تم اختيار هؤلاء الداعمين لبوتين بعناية لأن هذه الشخصيات كان لها التأثير الواضح على المواطن الروسي العادي الذي كان في أمس الحاجة إلى الحماية والأمن في تلك الفترة المقبلة وكان المواطن ينظر إلى هؤلاء الأشخاص الثلاثة وللثعلب الأحمر بوتين كنماذج للشرف والاستقامة والصلاح. وكان يراد منهم أن يلهبوا مشاعر الناس وأن يخلقوا جوا من الإثارة بينهم حتى وإن كان مزيفاً وعلى هذا الأساس شكل صانعو هذه الحركة رأي عام يفيد بأن بوتين رجل المخابرات القوي القادر

على الانطلاق بسفينة الحب للحكم بروسيا وقبل انتخابات الرياسة توسعت الحركة لتضم شخصيات قوية وقادرة ولها تأثيرها على المواطن مثل حاكم إقليم كيرسك وهو ألكسندر راتيسكوى وحاكم إقليم بريمورى ألكسندر نازدرا أتنكو وحاكم إقليم كالننجراد وهو ليونيد غوربنكو وقد حصلت تلك الحركة الداعمة والمعينة لبوتين على الدعم من الأقاليم التي تعتمد اعتمادا كليا على مساعدات الكرملين بكل أبعادها.

لقد أصبح الكل يرى أن الحزب الجديد يمكن أن يصبح قوة حقيقية إذا ما دعمه بوتين بشكل صريح لأن هذا الحزب كان يصب في مصلحته في المقام الأول وهو ما حدث فعلا لقد أعلن بوتين في24 تشيرين الثاني 1999م بعد فترة تردد قصيرة بأنه سيدعم «حزب الوحدة» كمواطن وكصديق شخصي (ليشويغوا) أحد زعماء الحركة وكان لهذا الكلام تأثيرا كبيراً لقبول الشعب الروسي الذي أصبح بنظرهم أشبه بحزب بوتين ووفقا للمركز الروسي لأبحاث الرأي العام والذي كان يرأسه عالم الاجتماع الشهير يوري ليفادا في بداية تكوين الحزب «حزب الوحدة» كانت نسبة قبول الجماهير له في أواخر تشيرين الأول 1999م نسبة قدرها 4% فقط وارتفعت هذه النسبة في أواخر تشيرين الثاني 1999م إلى نسبة 19% وذلك بعد دعم بوتين الشخصي لذلك الاتحاد على أي حال فإن

مساندة بوتين لهذه الحركات كان لصالحه في المقام الأول والأغرب وجود حزب آخر تم تشكيله حديثاً في أغسطس آب 1999م وتم تسميته اتحاد قوى الحق وقد عرض هذا الحزب على بوتين أن يكون هو الآخر داعما له وكان رد الثعلب الأحمر بوتين هو: أنه لمح إلى قبوله لذلك وكان هذا الاتحاد الجديد اتحاداً ليبراليا برئاسة بيغود غايدار وسيرجي كيد بنكو ونيمتسوث وايرننيا ضاكا مادا لكن كان الزعيم الحقيقي والمحول الرئيسي لقوى الحق هذه كان (أنا تولى توشوبايس) المسمى بقيصر الخصخصة رغم أن العلاقة بينه وبين بوتين كانت علاقة صعبة وذات طبيعة خلافية بالإضافة إلى أن بوتين لم يكن بحاجة إلى شخص قوي وطموح حوله كان بوتين يريد أن يظهر في صورة الرجل القوي دون منافس ومن هنا كانت هاتين الحركتين هما الأساس الذي اعتمد عليه بوتين من أجل الانقضاض على عرش الكرملين، كان بوتين يعلم علم اليقين أنه لابد أن يكون داعما لهاتين الحركتين خلال الانتخابات البرلمانية لأن هاتين الحركتين إذا ما خسرتا الانتخابات البرلمانية فسيخرج بوتين من الساحة السياسية وسيتوجب على يلتسين حينئذ البحث عن وريث آخر لعرش الكرملين وبالفعل هذا ما حدث خلال سباق الرئاسة فقد نجحت الأحزاب الداعمة الرئيسة لبوتين بينما أخفقت الأحزاب الأخرى المعارضة لوجود بوتين.

لقد دعمت إدارة الكرملين ترشيح بوتين لانتخابات الرياسة دعما كبيراً حيث نظمت حملة ضد الأحزاب المعارضة لبوتين أو تلك الكتلة السياسية التي كانت ترعى مرشحين آخرين للرئاسة كان الهدف من هذه الحملة التي دعمت إدارة الكرملين والأحزاب الداعمة لبوتين كان الهدف واضحاً تماماً وهو تدمير الكتلة المنافسة من خلال برنامج عمل معتدل وديمقراطي بدأ بالفعل من خلال الانتخابات البرلمانية وبالتالي شل مرشحيها أي مرشحي تلك الأحزاب المنافسة لبوتين والتي لم تفز في الانتخابات البرلمانية فكيف يتسنى لمرشحي الأحزاب المنافسة الفوز في الانتخابات الرئاسية لقد كان فريق يلتسين الرئاسي يريد بشتى الطرق والوسائل ضمان فوز بوتين وتربعه على عرش الكرملين.

لقد مارس الكرملين ضغطا هائلاً على حكام الأقاليم المختلفة من أجل التخلي عن لوجكوف وبريماكوف المنافسين الأساسيين لبوتين في انتخابات الرياسة الروسية والحقيقية التي لا ريب فيها أن هؤلاء الحكام جميعهم بلا استثناء رضخوا لمطلب الكرملين مفضلين عدم المقاومة حتى أن بعض زعماء الأقاليم أظهروا قدرة عجيبة على المرونة حيث شاركوا في كل الحركات الداعمة للكرملين وهي ذاتها الحركات الداعمة لبوتين.

لقد نجح الداعمين لبوتين في الانتخابات البرلمانية بعد أن

قام بوتين شخصيا بدعمهم وعلى أي حال لقد أثبتت الانتخابات البرلمانية التي نجحت في كانون الأول من عام 1999م أن الديمقراطية الروسية كانت قابلة للتحكم بها بشكل كلي أو شبه كلي فقد حصلت حركة الوحدة على 23% من نسبة التصويت كما حصل حزب اتحاد قوى الحق الذي قفز إلى قطار بوتين السريع في الوقت المناسب ليحصل هذا الحزب الوليد على نسبة 9% من مجموع الأصوات وهي نتيجة جيدة ولذلك شكلت تلك الحركة قاعدة صلبة لبوتين في مجلس الدومة وتوزعت المقاعد البرلمانية في مجلس الدومة على النحو التالي: -

حصل حزب الوحدة الداعم لبوتين على 83 صوتاً.

واتحاد قوى الحق على 32 صوتاً.

والمجموعة المؤيدة للحكومة «الحكومة الروسية» 47 مقعداً.

ومجموعة نواب الشعب خلفاء الوحدة على 56 مقعداً

وهكذا أظهرت تلك النتائج بأن بوتين يملك فعلاً فرصة جيدة للفوز في الانتخابات الرئاسية من خلال الجولة الأولى وبلا منافس حقيقي له لأن الأصوات التي حصلت عليها كل من أحزاب الوحدة واتحاد قوى الحق كانت في واقع الأمر أصواتا لصالح الثعلب الأحمر بلا منافس. لقد أجمع المراقبون السياسيون على أن وجود أحزاب قوية وداعمة لبوتين شخصياً مثل حزب الوحدة ونواب الشعب

والأقاليم الروسية واتحاد قوى الحق، وجود هؤلاء في مجلس الدومة لأول مرة جعل بوتين يمتلك دعما كبيرا في البرلمان.

لقد حسمت الطبقة السياسية الروسية خيارها في انتخابات الدومة وكان ذلك لصالح بوتين الثعلب الأحمر الذي استطاع أن يجعل الآخرين ينضموا إليه مؤيدين ومجبرين على هذا التأييد نظرا لما وجدوا من اكتساح أنصار بوتين في الدومة وما حدث بعد إعلان نتائج انتخابات الدومة أعطى قوة دافعة كبيرة لبوتين لينقض على عرش الكرملين فقد انضم حزب لوجكوف وبريما كوف في الدومة إلى معسكر الكرملين وتبع ذلك انضمام أحزاب الوسط في روسيا والتي لم تكن مستعدة بعد كي تعيش حياة مستقلة لبوتين بل كانت في حاجة إلى ظل من السلطة كي تبقى على قيد الحياة.

*) والأغرب حالاً أنه في نهاية المطاف بدأت أحزاب أخرى بالتنافس مع حزب الوحدة التابع لبوتين على دور الحزب الأكثر ولاءً لبوتين.

*) كانت المفاجأة في انسحاب بريماكوف من السباق الرئاسي لمعرفته بعدم وجود أي أمل في الفوز بالرئاسة.. ولم يكتف بالانسحاب بل أعلن منح دعمه لبوتين وهكذا كان الانتصار يلي الانتصار لبوتين.

# لحظات حاسمة
# في حياة بوتين السياسية

## « اللحظة الأولى »
## استقالة يلتسين

مر بوتين أثناء حياته السياسية بكثير من اللحظات الحاسمة التي كانت تقرر مصيره السياسي بعدها ولعل أهم تلك اللحظات والتي يمكن أن نسميها اللحظة الأولى في طريقه للكرملين تلك التي كانت في 31 ديسمبر «كانون الأول» من عام 1999م... ماذا حدث في ذلك اليوم في روسيا؟ وماذا حدث لبوتين...؟

*) في هذا اليوم أذهل الرئيس الروسي «يلتسين» العالم حين أعلن مع احتفالات العالم برأس السنة الميلادية وميلاد عام جديد، بل وشروق قرن جديد على العالم... قال «يلتسين» في بث مسجل للأمة الروسية بينما انهمرت دمعة على خد «يلتسين» قال: ـ

«لقد اتخذت قراراً، لقد فكرت ملياً وطويلاً اليوم، في آخر يوم من القرن الآفل، ها أنا أستقيل، أريد أن أطلب منكم أن تغفروا لي لأن الكثير من أحلامنا لم يكتب لها أن تتحقق»..

*) كان بوتين هادئا يشاهد الكلمة المتلفزة المسجلة والتي حتما قد شاهدها من قبل عشرات المرات قبل إذاعتها على الجماهير بينما كان «يلتسين» رصينا وعاطفيا وحزينا أيضا كأنه أُجبر على تقديم هذه الاستقالة مقابل قرار بالعفو عنه لعدم محاسبته مطلقا على أي خطأ وقع فيه.

*) كان كل شيء دبره «بوتين» بكل دقة، وبكل هدوء وكان الإعلان هذا أولى اللحظات الحاسمة في طريق بوتين للكرملين، لقد كان إعلان استقالة «يلتسين» عشية رأس السنة الميلادية، ورأس الألفية الثالثة ليبدأ القرن الواحد والعشرين.. إنها مناسبة رآها «بوتين» مناسبة جداً لوداع أول رئيس لروسيا ما بعد الشيوعية..

*) لقد أعد «بوتين» كل شيء بإتقان شديد، لقد كان الروس حول موائدهم مبتهجين برأس السنة الميلادية وأقداح الفودكا والشمبانيا في أيديهم، مستعدين لمسامحة زعيمهم «يلتسين» على الكثير من الأشياء بما فيها وعوده الفارغة التي كثيرا ما يحب إعطاءها لشعبه..

*) كان «بوتين» يعرف طبيعة شعب روسيا جيداً ، فالشعب الروسي ليس حقوداً ولا عدوانيا، وكان «بوتين» يعلم جيداً أن هذا الإعلان الغير متوقع باستقالة «يلتسين» لن يسبب أي اضطراب في روسيا، بل يمكن القول إن ردة فعل معظم الشعب الروسي كانت «أخيرا ذهب يلتسين»...

*) كانت استقالة «يلتسين» تعني أن «بوتين» سوف يكون مسؤولاً عن الكرملين وعن روسيا كلها، وعن الانتخابات الرئاسية التي من المحتم إجرائها، ولكن لم يكن ثمة شيء على الإطلاق يدعو للقلق نتيجة تلك الاستقالة المفاجئة للشعب الروسي لأنه لم يكن هناك غرباء يطالبون بالعرش، ولم يكن هناك خصوم يطالبون بالرئاسة..

*) في كتابه «الماراثون الرئاسي» والذي أصدره «يلتسين» بعد استقالته بعدة سنوات يروي «يلتسين» اللحظات والأيام التي سبقت إعلان هذه الاستقالة وأن أول محادثة أجراها مع «بوتين» حول تلك الاستقالة كان يوم 14 ديسمبر 1999م أي قبل الإعلان الرسمي لها بأسبوعين كاملين وأضاف يلتسين بأن «بوتين» كان مترددا بخصوص عرض أن يخلف مكان يلتسين في الرئاسة..

ويخاطب يلتسين مستشاره الخاص «يوريس نيكولا بيفيش» قائلاً:

- «أنت تعلم يا يوريس نيكولا بيفيش إذا أردت الحقيقة بأنني لست متأكدا مما إذا كنت مستعداً لهذا الأمر الذي أريده، فالحياة صعبة إلى حد ما، ومن الواضح أن الكولونيل بوتين كان متردداً»..

*) لقد كانت ردة فعل «بوتين» على قراره بالاستقالة بالنسبة ليلتسين إيجابية للغاية رغم تردده أمام يلتسين في قبول الأمر لأن هذا التردد أقنع يلتسين بأنه وجد الرجل المناسب، الرجل الذي لم يكن مستعجلاً للوصول إلى عرش الكرملين.

## اللحظة الثانية
## مرسوم الحصانة عن «يلتسين»

*) كانت اللحظة الحاسمة الثانية في حياة «بوتين» داخل الكرملين هي تلك التي أصدر فيها مرسوم الحصانة عن «يلتسين».

*) مع صباح أول يناير 2000م وبعد احتفالات العام الجديد مباشرة أصدر «بوتين» بصفته الرئيس المؤقت لروسيا أول مرسوم رئاسي له وكان هذا المرسوم هو «مرسوم الحصانة» ووفقا لذلك المرسوم لم يكن بالإمكان مقاضاة أو ملاحقة «يلتسين» الرئيس السابق له والذي استقال من منصبه طواعية كما يُقال.. لعله كان اتفاقا واضحاً وصريحا تم إبرامه بين «بوتين» و «يلتسين»..

*) هذا الاتفاق تم بموجبه أن يعلن «يلتسين» الاستقالة الاختيارية مقابل أن يصدر «بوتين» في اليوم التالي مرسوم الحصانة عن الرئيس السابق «يلتسين» وبموجب هذا المرسوم لم يكن بالإمكان مقاضاة يلتسين عن سوء التصرف الإداري أو الحزبى في أي فعل فعله كرئيس.. ولم يكن المرسوم مجرد حصانة ليلتسين فقط بل لأفراد حاشيته أيضاً لأن المرسوم اعتبر مساعدو يلتسين «ابنته تاتيانا وبقية المقربين له» مسئولون أمام يلتسين فقط أي أنهم برئوا من أية مسؤولية قضائية وبعبارة أخرى أوجد مرسوم «بوتين» هذا

منطقة من الحصانة حول الرئيس السابق «يلتسين» يمكن أن تمتد لتشمل حاشية يلتسين كلها..

*) لقد كان هذا المرسوم العجيب هو الطريقة الوحيدة التي كانت تكفل مغادرة الفريق الرئاسي الحاكم القديم برئاسة «يلتسين» المسرح الرئاسي الروسي بدون وقوع أي معركة شرسة وبذلك ضمن «بوتين» الاعتلاء على عرش الكرملين دون مشاكل من الماضي..

*) كان الهدف من ذلك المرسوم أن يتم إسدال الستار عن مرحلة انقضت باستقالة «يلتسين» للبدء في مرحلة جديدة تماماً مرحلة اعتلاء بوتين عرش الكرملين بطريق دستورية وقانونية وديمقراطية أمام العالم، وبالطبع لن يتم ذلك بدون إجراء انتخابات رئاسية يشهدها العالم أجمع ووفقا للدستور، كان موعد إجراء الانتخابات في حزيران 2000م ولكن استقالة يلتسين جعلت الموعد وفقا للدستور هو 26 مارس «آذار» 2000م.

## اللحظة الثالثة الحاسمة
## بوتين يفوز بالرئاسة في الجولة الأولى

اللحظة الثالثة الحاسمة في حياة بوتين «داخل الكرملين» هي تلك التي حدثت مساء 26 مارس آذار حين أعلن فوز «بوتين» بالرئاسة من الجولة الأولى بتأييد حوالي 53% من الناخبين في حين حصل منافسة زيوغانوف على 29,2% بينما حصل زعيم المعارضة الديمقراطية يافلينكس على 5,8% أما أمان توليفيف فقد حصل على 2,95% بينما حصل القومي فلاديمير جيرينوفسكي على 2,7% وحصل كونستتين تيتوف على 1,47% بينما حصل بقية المرشحين مجتمعين على أقل من 1% ...

*) لقد لعبت رعاية الفريق الحاكم المساعد لبوتين من خلال توظيف كل الموارد الإدارية الممكنة لصالح «بوتين» ولعل أخطرها كان إبعاد خطر منافسيه، وتنظيم الدعم المباشر لبوتين حيث قامت السلطات المركزية والمحلية على مختلف المستويات بكل ما هو ممكن لفوز «بوتين» بواسطة عدد كبير من الأساليب والطرق من ترغيب وترهيب الناخبين إلى مضايقة المرشحين الآخرين بالإضافة إلى ضمان إحصاء «صحيح» للأصوات لصالح «بوتين».

*) كان بوتين يحظى بشعبية قوية آنذاك، وكان هنالك عشرة

مرشحين آخرين ينافسون «بوتين» ومن بينهم نفس الأشخاص الذين كانوا يتنافسون مع يلتسين في الانتخابات السابقة مثل الزعيم الشيوعي غينادي زيوغانوف، وزعيم حزب بابلوكو الديمقراطي غريفوري يافلينكس، وزعيم الحزب الديمقراطي الليبرالي فلاديمير جيرينوفسكي، بينما دخل بقية المرشحين السباق الرئاسي بدون أدنى فرصة ليس فقط في الفوز بل حتى في الحصول على دعم ذي أهمية، كان كل ما يريدونه هو الشهرة والتغطية التليفزيونية حتى يتمكنوا لاحقا من تحقيق مآرب أخرى شخصية لهم..

*) في حوار تليفزيوني مع المنافسين لبوتين والذين دخلوا السباق الرئاسي دون أن يكون لهم أدنى فرصة للفوز سئلوا فقال أحدهم إن الاشتراك في الانتخابات الرئاسية ليس لها أي مسئولية قانونية فلماذا لا أشارك فيها، لقد شارك هؤلاء في السباق الرئاسي لمجرد الترشيح فقط وليس للفوز وكأنهم كانوا يريدون إظهار أن الغاية ليست لها أي أهمية وأن الإجراء فقط هو المهم، والجميع كانوا يعرفون بأنه ليس لأحد أي فرصة في الفوز باستثناء بوتين، لأن كل قوى الدولة كانت مسخرة لصالحه.

*) هناك أسباب وعوامل أدت إلى استحواذ بوتين على ثقة الجماهير الروسية فلقد سمحت الحرب الشيشانية لبوتين بأن يلعب دور الزعيم القوى والحازم ليست تلك الحرب وحدها أدت

لثقة الجماهير الروسية في بوتين فمن جهة كان بوتين الخليفة الرسمي ليلتسين بمباركة من الرئيس الروسي الأول نفسه وهو الرئيس يلتسين الأمر الذي ضمن دعم الطبقة الإدارية وانتقالاً سلمياً للسلطة ومن جهة أخرى فإن صورته كزعيم صارم لا يزيح عن مبادئه كانت إيجابية بالنسبة لبوتين بالمقارنة مع صورة يلتسين الضعيف الواهن، لذا أمكن لهذا الثعلب الأحمر أن يكون مقبولاً من كل من الموالين والمعارضين على حد سواء، وحاز بوتين على ثقة أولئك الذين كانوا يريدون انتقالاً منظماً وهادئاً واستمرارية لما سبق وأيضا ثقة أولئك الذين كانوا يطالبون بالتغير على مستوى القمة والقطيعة مع الماضي.. نجح في أن يستعيد ثقة هؤلاء وهؤلاء ألم أقل لكم إنه ثعلب.. نعم ثعلب أحمر قوي بكل المقاييس.

*) ظهر بوتين كزعيم ينافس وحده على عرش الكرملين، لقد كان بوتين هو الطريقة المثلى للتخلص من يلتسين لصالح طبقة النخبة والمجتمع بصفة عامة... ظهر بوتين في وقت كان الكل في روسيا قد سئم من «يلتسين» المتقلب، غريب الأطوار.

*) لقد ساندت طبقة النخبة بوتين في انتخابات الرئاسة الأولى مساندة كاملة آملة بأن يحافظ على قواعد اللعبة فهي كانت تريد عبر مساندتها له التأكيد على الوضع الراهن الذي استفادت منه إلى حد كبير وأرادت استمراره.

*) حاز بوتين أيضا على ثقة أولئك الذين كانوا يريدون من بوتين بصفته ممثلاً للأجهزة الأمنية أن يُعيد المجتمع إلى الطريقة التي عاشها الكبار والشيوخ أيام الاتحاد السوفييتي.

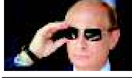
*) حاز بوتين على ثقة الليبراليين الذين وجدوا فيه مصلحًا اقتصاديًا نظرا لماضيه في سان بطرسبورغ والإصلاحات الاقتصادية التي كانت متوقفة آملين بأن يكون عهده عهد الإصلاح الاقتصادي.

*) حاز بوتين على ثقة أغلبية الشعب الروسي الذي كان لديه الرغبة الساحقة في أن يثبت بوتين نفسه كزعيم على جلب النظام بعد الفوضى التي أحدثها يلتسين وأن يضع «بوتين» حدا لتقلب الكرملين.

*) إن غموض صورة بوتين السياسية جعلته كاللوح الفارغ الذي يرغب كل شخص في أن يكتب عليه أي شيء يريده.

*) كان بوتين قبل انتخابه رئيسا يحاول إرضاء الجميع، بحيث أمكن لكل الفئات السياسية والاجتماعية بأن تأمل أن «بوتين» هو الشخصية التي تستطيع على المدى البعيد تحقيق الاستقرار والنظام في روسيا..

*) كان بوتين في نظر العامة هو رجل المخابرات الصارم القوى القادر على التغيير ومرتبط في أذهان الناس بالجيش عموماً، وبالصمت وعدم التكلم كثيراً وأنه رجل غامض بكل المقاييس وهذا



الغموض هو ما يروق لكل طبقات المجتمع الروسي، كان رجل لا يتكلم ولا يحب الكلام قائلاً دعوني أعمل!! وقبل الانتخابات الرئاسية رفض بوتين الإدلاء ببيان سياسي أو برنامج انتخابي محددًا محاولاً أن يكون صادقاً مع مؤيديه المتنوعين، وعندما أصبح الأمر ضروريا بالنسبة للجماهير وجه بوتين إلى الناخبين رسالة مفتوحة في شباط «فبراير» 2000م قبل الانتخابات بعدة أسابيع تجنب فيها أية أفكار يمكن أن تثير هجوما عليه أو حتى انتقاده حاول بوتين في رسالته إزالة كل الأفكار الأيدلوجية مركزا فقط على القيم الاجتماعية التي لا يمكن أن ترفضها حتى القوى المنافسة سواء أكانت ليبرالية أم يسارية أم تلك المؤيدة للسلطة المركزية، وخلصت الرسالة بمجملها إلى إعطاء دور متزايد للدولة وإجراء المزيد من الإصلاحات على السوق وإعادة فكرة إحياء العدالة الاجتماعية.

*) إنه الثعلب الأحمر الذي لم يكتف بذلك بل جرب أيضا توجيه موقف نقدي إلى إدارة يلتسين وهو ما كان يتفق ورغبات الجماهير، لقد انتقد ضعف الإدارة وغياب إرادة ومثابرة الدولة في إكمال المشاريع التي بدأت وانتقد التردد والتلكؤ محاولاً إبعاد نفسه عن اليلتسينية وبذلك استطاع اجتذاب منتقدي سياسية يلتسين.

*) والأكثر غرابة لذلك الثعلب الأحمر أنه رفض القيام بحملة انتخابية مركزا على أنه يقوم بواجباته كرئيس للوزراء وأعماله تشهد

له كرئيس مؤقت للبلاد مقدار حزمه وأعماله التي قام بها كرئيس للوزراء، وارتأى فريقه الانتخابي تقديمه لكل محطات التلفزة ووسائل الإعلام الأخرى على أنه شخص عادي يمثل رجل الشارع في مظهره وسلوكياته حيث أصبح في إمكان أي روسي عادي أن ينظر إلى بوتين بوجهه الخالي من الوسامة وثيابه السيئة التفصيل وأسلوبه المباشر في الكلام والأخرق إلى حد ما... حتى أنه استخدم اللهجة العامية الروسية حين وعد شعبه بأنه سيمسح الإرهابيين الشيشانيين في المرحاض، وهو ما صدم المثقفين كتعبير سوقي لا يليق برئيس دولة عظمى أن يتفوه به ولكنه أثار إعجاب باقي الشعب الروسي الذي يعجبه بساطة الكلمات حتى لو كانت نابية..

*) لقد كانت كل العوامل مهيئة لبوتين بالفوز بعرش الكرملين دون منافس حقيقي على الإطلاق وكان العامل النفسي في غاية الأهمية بالنسبة لموقف الشعب الروسي في ذلك الوقت وقت استقالة يلتسين وتقدم بوتين لانتخابات الرئاسة حيث يتضمن الشعب الروسي في تلك الفترة فئة متذبذبة كانت تدعم شخصاً جديداً في كل انتخابات بحثا عن بطل جديد، وقد دعمت هذه الفئة في انتخابات عام 1996م الجنرال ألكسندر لبيد، إلا أنها سارعت إلى مساندة بريماكوف في عام 1999م أما بطلهم الجديد الآن الذي حاز إعجابهم الآن في مارس آذار 2000م فهو «بوتين» إنه وجه جديد في عالم الترشيح

لشغل قمة عرش الكرملين أما السياسيين الآخرين فهم عواجيز السياسة في روسيا فبعضهم كان متواجدا على الساحة السياسية منذ عشر سنوات وبعضهم أكثر لدرجة أنهم أصبحوا مزعجين للمواطن الروسي، كان بوتين وجها جديداً وكان الروس يتوقون إلى الجديد في الواقع وكانوا على استعداد للانجذاب إلى أي بديل عن نظام يلتسين الفاسد ولكن الغريب والمثير للسخرية أيضاً أنهم دعموا بديلاً اختير من قبل حاشية يلتسين، ويبدو أن المواطنين الروس لم يكونوا أبداً على استعداد لدعم أي شخصية من شخصيات المعارضة أو قل إنهم لم يكونوا محبطين بما يكفي ولا غاضبين بما يكفي لاتخاذ قرارهم بدون موافقة أو استحسان الفريق الحاكم.

*) نجح بوتين قبل الإعلان الرسمي لنتائج الانتخابات، لقد نجح في آخر استطلاع أجراه المركز الروسي لأبحاث الرأي العام والذي أكد حصول بوتين على 53% على الأقل من مجموع الأصوات في مقابل 21% لأقرب منافس له وهو غينادي زيوغانوف زعيم الحزب الشيوعي بينما حصل الليبرالي يافلينكس على 6% فقط..

ويبقى السؤال لماذا صوت الشعب الروسي لصالح «بوتين» أجاب 71% منهم بأنهم يرون أنه زعيم قوي.

وسؤال آخر ماذا تريدون من بوتين أجاب 59% بأنهم يريدون منه دولة قوية، وأجاب 13% بأنهم يريدون منه مؤسسات ديمقراطية

وسؤال ثالث هل كان انتخاب «بوتين» نزيها. كانت إجابة 72% أنهم يعتقدون بحدوث عملية غش حدثت عند إحصاء الأصوات وأن بوتين أتى إلى السلطة بأسلوب غير نزيه.

*) في مسألة الانتخابات الرئاسية وفوز بوتين رأى المراقبون أن استقالة يلتسين المبكرة لم تعط منافس بوتين الوقت الكافي للاستعداد للانتخابات المعدة مسبقاً ولم تعط الشعب الروسي الوقت الكافي ليسأم من بوتين وأظرف تعليق كان يقول إن عملية الانتخابات الروسية في 26 مارس 2000م كانت عملية تحويل سلطات بوتين الرئاسية المؤقتة إلى سلطات شرعية.

*) عشية الانتخاب ذكرت جميع وسائل الإعـلام الروسية أن 63% من الشعب الروسي يثق في بوتين ثقة كاملة رغم أن هناك فئة أبدت انزعاجها من حقيقة عمله في الكي جي. بي وجهاز الأمن الفدرالي وفقا لما ذكره المركز الروسي لأبحاث الرأي العام وهو ما يشير إلى الفوز المتوقع من الجولة الأولى وبالفعل هذا ما حدث وكان إعلان فوز بوتين رسميا ودون اعتراض ملموس أو زوابع فعلية، كانت لحظة إعلان فوز بوتين ليتربع على عرش الكرملين من اللحظات الحاسمة في حياة بوتين السياسية.

## اللحظة الرابعة الحاسمة
## في حياة بوتين السياسية
## 7 مارس آذار 2000م يوم تنصيب بوتين رئيساً

*) كان يوماً مشهوداً للرئيس الروسي الجديد «بوتين» إنه اليوم السابع من شهر مارس آذار 2000م حيث حفل تنصيب بوتين رئيسا شرعيا ورسمياً.. كانت لحظات تنصيب بوتين عصيبة بالنسبة له.

*) بدا بوتين عصبياً خلال حفل التنصيب، ووفقا للبرتوكول تطلب من الرئيس الروسي «بوتين» القيام بمشية طويلة عبر أروقة الكرملين حتى يصل إلى الغرفة التي سيُجرى فيها مراسم الاحتفال.

*) أظهرت كاميرات التليفزيون بوضوح وجه بوتين الشاحب المتوتر، وبدلته غير المناسبة، بدأ غير منسجم إلى حد ما مع طقس الكرملين والاحتفال برئيس جديد للكرملين.

*) كان هناك إجماع من المراقبين السياسيين الذين تابعوا حفل تنصيب بوتين عبر الفضائيات وشاشات التلفاز أن هذا أمر طبيعي تماماً لشخص اعتاد على التواجد في الظل وراء رئيس ما يقوم بتنفيذ أوامره وهو ما كان عليه حال بوتين من قبل سواء كان في منصب مساعد رئيس الكي جي بي، أو نائب عمدة سان بطرسبورغ.

*) قوائم الحضور أعدت على الطريقة السوفييتية التقليدية من أجل الضيوف الذين قُسموا بحسب منزلتهم، وطلب منهم البقاء في القاعة المخصصة لهم، والزعيم الجديد «بوتين» يدلي بالقسم الرئاسي على دستور «يلتسين».

*) لقد عكس الاحتفال جوهر الفريق الحاكم الجديد «فريق بوتين» وطرازه الهجين، والذي كان يتضمن جوانب تبدو ظاهريا بأنها غير متجانسة وكان معظم المراقبين يرون في الأحداث التي أمامهم في حفل تنصيب بوتين ماضي زعيم الكرملين الجديد «بوتين» في الكي جي بي، ونشاطه الليبرالي، وارتقاءه - شبه الملكي إلى السلطة، والغريب أنه تم بتخطيط وتنظيم من المعارضين للشيوعية والثوريين.

*) جُمع الضيوف في قاعات مختلفة استناداً إلى مراكزهم في الهرمية السياسية التي وضعها فريق «يلتسين»، وهكذا ضمت القاعة الرئيسية التي تم فيها التنصيب ومراسمه ضمت حشداً شديد التنوع من الناس، وكانوا مرتبين كالآتي، طبقة النخبة، أولاد طبقة النخبة، كاردينالات، رؤساء وزراء متقاعدون شابات حسناوات لم يكن لهن أي علاقة مباشرة بالحدث. بالإضافة إلى الزعيم الروسي جورباتشوف الذي كان مدعواً بمبادرة شخصية من بوتين وكأنه يحاول إعادته للحياة السياسية من جديد ولكن دون جدوى على الإطلاق.

*) كان يلتسين جنبا إلى جنب مع بوتين في آخر ظهور رسمي له،

لهذا كان يلتسين محط أنظار الجميع، وحاول يلتسين الإدلاء بخطاب يبقى للذكرى، لكنه كان خطابا طويلاً وذا طابع تعليمي دفع بوتين الواقف بجانبه إلى رمقه بنظرات توحي بنفاد صبره..

*) واللحظة الحاسمة الحقيقية في ذلك اليوم كانت تلك حين قام بوتين ليلقي كلمته، وكان خطاب بوتين قصيرا ونابضا بالحيوية ألقاه دون أن يتوقف ولو لمرة واحدة.

*) هناك إجماع من المراقبين السياسيين أن مظهر بوتين وحده كان يعكس الفارق بينه وبين يلتسين، المسن الواقف بجانبه بينما بوتين مملوءا بالحيوية والشباب وهو ما كان يبعث على الاطمئنان بالنسبة لمستقبل روسيا القادم.. هذا ما كان يراه أغلبية الشعب الروسي..

# حاشية بوتين
# في الكرملين

في كرملين بوتين استمرت الصلات والحاشية التي كانت معقودة في عهد يلتسين كما هي، وحافظ المقربون من الكرملين على بعضهم وعلى معظم نفوذهم ولم يكن بوتين ذاته قادراً على تخليص فريق عمله من أعضاء حاشية يلتسين مثل كبير المساعدين الرئاسيين ألكسندر فولوشين.

*) ادعى بوتين بأنه يقف على مسافة واحدة من كل الطبقة الحاكمة ولكن كان من الواضح أن حاشية يلتسين وممثليهم ظلوا جزءاً من دائرته الداخلية الهامة فارضين قدرا كبيرا من النفوذ رغم أن ذلك لم يكن واضحا للعامة وخاصة سيرجى بوجاتشيف الذي كان يعرف بوتين من سان بطرسبورغ، كان وجود بوجاتشيف في أروقة الكرملين بمثابة رسالة من بوتين لحاشية يلتسين تفيد بأنه إن لم يكن مستعداً الآن لاستئصال الطبقة الحاكمة بالكامل فإنه قادر الآن على أن يقسمهم إلى مخلصين وغير مخلصين على الأقل الآن.

*) وبدافع الامتنان أو بالأحرى لأسباب عملية استمر بوتين

مع حاشية يلتسين واستمر بالعمل وفق «نموذج الإخـلاص» لمن صنعوه ووضعوه على عرش الكرملين في إطار نظام من الالتزامات المتبادلة ضمن دائرة المصالح وكانت هذه العلاقات تعتمد أحيانا على الصداقة والعلاقات السابقة وفي أغلب الأحوال تعتمد على الصفقات والخوف من إشاعة معلومات تثير الشبهات وهو ما يفسر عدم رغبته وربما عدم قدرته على الانفصال عن الماضي في تلك المرحلة.

*) وعندما أصبح بوتين جـزءا من دائـرة مكونة من أصدقاء ومصالح تقيد بيديه أصبح من المستحيل بالنسبة له أن يخلص نفسه من تلك الحاشية قبل أن يؤمن لنفسه قاعدته التي يمكن الوثوق فيها واعتبارها حاشية له.

*) خلال الأشهر الثلاثة الأولى كان ثمة انطباع بأن بوتين لم يكن مستعدا للتحرر بعد من قيود حاشية يلتسين القوية والتي صنعت بوتين رئيسا للبلاد وبشكل تدريجي بدأ بوتين يجلب زملاء قدامى له إلى الكرملين وهؤلاء كان يعرفهم معرفة شخصية وتربطه بهم صداقات ويمكنه الوثوق بهم ولكن كان معظم هؤلاء الأشخاص لهم روابط مع أجهزة السلطة الرئيسية وبصفة خاصة الأجهزة الأمنية، وكان بينهم أشخاص اضطهدوا المعارضة من قبل وزجوا بالمعارضين في السجون وكان هذا كافيا لإثارة قلق ذوي التوجهات الديمقراطية

من الشعب الروسي وناشطي حقوق الإنسان، وكان قلقهم مبررا بكل تأكيد، فبالاستناد إلى ضعف الآليات الديمقراطية عند تولي بوتين منصبه كرئيس للبلاد إلى جانب تدفق موظفين سابقين في «الكي. جي. بي» إلى أعلى المستويات في الإدارة، فإن وجود مثل هؤلاء في حاشية «بوتين» يشير إلى العودة إلى السلوك الاستبدادي.

*) حاول المراقبون السياسيون في روسيا وخارجها معرفة حاشية بوتين على وجه التحديد ولكن بوتين فيما يبدو كان مازال محاطا بخليط متغير باستمرار من الأوجه القديمة والجديدة، شخصيات معروفة ممتزجة مع أناس غير معروفين كليا ببدلات سوداء وقمصان بيضاء.

*) تألفت الدائرة الأولى من حاشية بوتين في البداية من الفريق السياسي ليلتسين وكان الأبرز فيهم هو «فولوشين» وكان واضحا أن بوتين لم يبق فولوشين بدافع من شعوره بالامتنان ولكن لأن «فولوشين» كان رجل يعرف كيف يسوي الأمور ولأنه أصبح خبيرا في ذلك فلم يكن بالإمكان الاستغناء عنه حينذاك وكان «فولوشين» وثيق الصلة بأفراد سابقين من حاشية يلتسين، وكان غالبا ما يُزار من قبل ساسة بارزين مثل تاتيانا داياشينكو، وفالنيتين يوماشيف أكبر ساسة يلتسين نفوذا.

*) وتألفت المجموعة الثانية من حاشية بوتين من التقنيين الليبراليين أمثال جيرمان غريف، وليونيدريمان، وإيليا كليبانون،

وإليكس كودرين وكانوا أعضاء في الحكومة ويحتلون مواقع رئيسية في كادرها الاقتصادي في موسكو وكانوا يُعتبرون بأنهم تابعون لأناتولى تشوبايس أبرز الليبراليين الروس وكان عضوا دائما في فريق يلتسين، كان تشوبايس قد ترك الساحة السياسية في وقت مبكر، ولكنه استمر في التأثير من وراء الكواليس ويشير المراقبون السياسيون الروس إلى أن العلاقة بين بوتين وبين «تشوبايس» لم تكن خالية من النقاط السوداء والشك المتبادل لأن بوتين لم يكن ليحتمل وجود سياسي بمثل قوة ونفوذ «تشوبايس» في دائرته، كما أن بوتين كان يضع في رأسه دائما أن «تشوبايس» كان أول مَنْ اعترض على تعيين «بوتين» رئيسا للوزراء...

وكان «تشوبايس» يعلم علم اليقين بأنه لن يكون مطلوباً لكي يلعب دور حارس بوابة الكرملين ومدير أزمات لبوتين أما بالنسبة للمحسوبين عليه فقد كانوا سعداء بالتحول للعمل مع بوتين بعد استقالة يلتسين.

*) أما المجموعة الثالثة من حاشية «بوتين» في الكرملين فكانت هؤلاء الذين يُطلق عليهم اسم «السيلوفيكي» وهم أصدقاء «بوتين» في سان بطرسبورغ أو كانوا زملاءه في الكي جي بي وهؤلاء كانوا الأشخاص الوحيدين الذي كان لبوتين أن يثق بهم أو يعتمد عليهم وهم أولاً «سيرجي إيفانوف» الذي كان آنذاك يشغل منصب رئيس

المجلس الأمني القومي والذي كان ينسق سياسات وزيارات السلطة، وأيضا «فيكتور تشيركيسوف» زميل بوتين في جهاز الأمن الفيدرالي، ونيكولاي باتروشيف رئيس جهاز الأمن الفيدرالي.

*) وكـان الشعب الـروسـي ينظر بإيجابية إلـى حاشية بوتين المختلطة «الحرس القديم مع حرسه الجديد» وخاصة لمسألة تعيين أشخاص من الأجهزة الأمنية في مناصب عُليا، وباستطلاع الرأي اعتبر 44% ممن شملهم الاستطلاع الأمر إيجابياً بينما اعتبره 35% سلبياً وربما كانت هـذه النتيجة لأن الشعب الروسي كان مستاءً من الجماعات التي ترعرعت في كنف يلتسين وكان معظم الشعب يرغب في تنظيف الطبقة الحاكمة كلها، ولأن الشعب كان يعتبر الأشخاص القادمين من الأجهزة الخاصة هم الأقل فساداً من الآخرين...

*) وإلـى جانب تلك المجموعات الثلاث كـان هنالك مسئولو الخدمة السرية وهم شبان عملوا مع بوتين لصالح سوبتشاك في سان بطرسبورغ من بينهم ديمتري كوزاك، وإيفورستشين، وديمتري ميدفيديف.

*) كان الصراع الداخلي بين ليبرالي سان بطرسبورغ ورجال الخدمة السرية في سـان بطرسبورغ قد سمح لحاشية يلتسين القديمة والتي كانت قد جلبت بوتين إلى السلطة والتي كانت تملك

أعضاء مساوين في عددهم لأعضاء حاشية بوتين الجديدة بالحفاظ على نفوذهم نظرا لخبراتهم ومكانتهم ونفوذهم.

*) ويمكن القول إن حاشية بوتين الجديدة من الحرس القديم وحرسه الجديد لم تكن منسجمة فيما بينها ولكن بوتين كان بحاجة إليها كلها في ذلك الوقت للقيام بوظائفها المختلفة، فى حين استمر أعضاء فريق حاشية يلتسين الذين كانوا يلعبون دور مؤلفي سيناريو بإدارة صراعات سياسية داخلية، كان الليبراليون يديرون السياسة الاقتصادية أما زملاء بوتين في الخدمة السرية فقد حاولوا إدارة المشاريع الأكثر حساسية وإن لم يكونوا بارعين دائما في ذلك وهي المشاريع التي تقوم بتعزيز سلطة بوتين، وفي نفس الوقت كانوا يراقبون مكائد حاشية بوتين المختارة في الكرملين بواسطة بوتين من الحرس الجديد ويمكن القول إن الحاشية القديمة أو الحرس القديم لم يكونوا بارعين في تعلم فن الصفقات السرية ولكنهم في نفس الوقت كانوا الأشخاص الوحيدين الذين يملكون اتصالاً مباشراً مع بوتين الذي أشركهم في خططه لمساعدته في تحديد مكان ضربته التالية.

*) لقد كان واضحا أن هذه المجموعات من حاشية بوتين القديمة أنها تمتلك آراء متباينة وستسعى لتحقيق أهداف مختلفة وأن الرابح منها هو الذي سيؤثر فعلا في سلوكيات بوتين وتصرفاته ومن وراء

هذه المجموعات استغلت مجموعات متنفذة أخرى من بينها شركة بيتر أفين، وشركة ألفا التابعة لميخائيل فريد مان وشركة غاز بروم وسُميت المعركة (معركة الفيلة السياسية) نظرا لضخامة المشاركين فيها ومع ذلك حاول هؤلاء الفيلة إيجاد موقع مناسب لهم في حاشية بوتين وبعد عدة أشهر من ذلك جاء الوقت كي يظهر بوتين السمات المميزة لرئاسته وتمثل الاختيار الأساسي الذي سيظهر ليس فقط نوايا إدارته الجديدة بل محتواها الأساسي في تشكيل الحكومة.

كان أمام الرئيس الروسي بوتين خياران لتشكيل حكومته الأولى الخيار الأول أن يختار حكومة مستقلة يكون هدفها الأساسي يحمل المسئولية الكاملة عن السياسة الاقتصادية وإصلاحها وتعزيز الاستقرار الداخلي وتحسين السياسة الخارجية والعلاقات مع مختلف دول العالم وكان يمكن أن يكون هذا الخيار مثالياً بالنسبة لروسيا لأنه ينقلها تدريجيا نحو حكومة وبرلمان مستقلين وكان الخيار الثاني أمام الرئيس الروسي بوتين أن يشكل حكومته الأولى من أشخاص مستقلين تماماً أي تكون حكومة مستقلة تماما يرأسها رئيس وزراء مطيع لبوتين وبذلك يستمر بوتين على النهج الذي صاغه وفق رؤيته وفي نفس الوقت يكون بوتين بعيداً كل البُعد عن المسئولين وقد قرر بوتين أن ينفذ الخيار الثاني ويضع حداً لكل الشكوك التي تساوره هل سيستطيع تنفيذ رغبته في تشكيل أول حكومة في حياته الرئاسية

وأن تكون هذه الحكومة من حاشيته وأن يترأسها شخص اختاره هو بإرادته دون الرجوع لأحد غيره، وقدم الرئيس الروسي بوتين مرشحه لرئاسة الحكومة إلى مجلس الدوما وكان هذا المرشح هو ميخائيل كسيانوف وهو الذي شغل في السابق منصب نائب رئيس الوزراء في حكومة يلتسين وكان قبل ذلك في منصب نائب وزير المالية أي أنه من الحرس القديم ومن حاشية يلتسين كان من الممكن تفسير تعيين كاسيانوف رئيسا للوزراء على أنه قرار الرئيس الروسي بوتين في الظاهر ولكن المراقبون السياسيون أكدوا في ذلك الوقت على أنه ربما يكون بوتين قدا أُرغم على اتخاذ هذا القرار من أجل المحافظة على نفوذ حاشية يلتسين السياسية لأن كاسيانوف هذا كان معروفاً على نطاق واسع بأنه مقرب من جماعة يلتسين ليس هذا فحسب بل سرت بضع شائعات حول كازيانوف شخصياً زعم فيها بأنه كان متهماً بعقد صفقات مشبوهة تتعلق بالديون السوفييتية والروسية حتى قيل إنه كان يأخذ 2% من كل صفقة ديون يساعد على تنظيمها وتجاهل كازيانوف الاتهامات والشائعات مفضلا التظاهر بأنه يعلم شيئا مما يتهامز به المجتمع السياسي في موسكو في ذلك الوقت وبالطبع علينا نحن كمحايدين أن نعطي هذا الرجل حقه ونقول إنه كان أفضل شخصية روسية معروفة استطاع أن يعمل مفاوضاً وخبيراً ناجحاً في الأزمات المالية وفوق ذلك أثبت بعد فترة قصيرة فقط

بأنه إداري محترف ممتاز عرف كيف يحافظ على حياته في بركة الكرملين المليئة بأسماك القرش.

كان اختيار الرئيس الروسي بوتين لشخصية مثل كسيانوف ليكون رئيساً لأول وزراه يشكلها بوتين بمثابة دلالة واضحة على نموذج السلطة الذي يريد الرئيس بوتين إرسائه وهي حكومة مطيعة يرأسها رئيس وزراء مطيع لقد اختار بوتين لحكومته الأولى ما يسمى النموذج «الرست» كنموذج للحكم على غرار نموذج حكومة يلتسين التي كانت تأخذ أوامرها من المساعدين الرئاسيين وفي نفس الوقت تكون مسئولة عن كل أخطاء الرئيس أي حكومة (صبى للضرب) كما يقولون في روسيا أي أن أي خطأ يتم ارتكابه تكون الحكومة هي المسئولة عنه وليس الرئيس وعلى الفور صادق الدوما الذي لا يقل طاعة عن الحكومة على تعيين كاسيانوف وشكلت بذلك أول حكومة لبوتين معظمها من حاشية يلتسين وهم أشخاص ضمهم بوتين إلى حاشيته، ووضحت هذه الحكومة التي شكلها بوتين وهي أول حكومة له ضمت أشخاصًا مكروهين من الشعب الروسي ومتهمين بالفساد مثل وزير الصناعة الذرية ووزير المواصلات وفي الوقت نفسه حافظ بوتين على التقليد المتمثل في تشكيل حكومة من تحالف المجموعات المختلفة حيث كان رئيس الوزراء يمثل مصالح فريق الكرملين القديم «الحرس القديم» في حين كان نائبه كودارين

يمثل مصالح المجموعات الأخرى أهمها مجموعة «يورى ماسليو كوف» وكان عضوا بارزا في الحزب الشيوعي وممثل وزارة الدفاع السوفييتية وضمت حكومة بوتين الأولى أيضا كتلة السلطة القديمة باستثناء رئيس جهاز الاستخبارات الخارجية وكذا وزير الدفاع ووزير الشئون الداخلية ورؤساء أجهزة الأمن وهم أشخاص كانوا معينين من قبل الرئيس السابق يلتسين وثبت بعد ذلك أن هذا الاختيار كان نتيجة اتفاق ما بين الرئيس السابق يلتسين والمنتخب الجديد بوتين والذي تعهد فيه بوتين بعدم استبدال هؤلاء لمدة عام.

لقد أظهر تشكيل الرئيس بوتين أنه لم يكن قادراً بعد على تقديم الدعم اللازم والضروري للمقربين منه وخير دليل على ذلك جيرمان غريف القريب من بوتين والذي كان يُريد أن يكون دوراً مركزيا في أول حكومة يقوم بوتين بتشكيلها ولكنه حصل في نهاية المطاف على منصب ثانوي وهو مدير في إدارة التجارة والتنمية الاقتصادية.

والحقيقة التي لا جدال فيها أن الرئيس بوتين بالرغم من بعض الخطوات المستقلة التي اتخذها في إدخال المقربين إليه في حاشية الكرملين إلا أنه كان لا يزال مرغما على التنسيق مع فريق يلتسين بشأن تعيناته وهكذا نجد أن الجولة الأولى كانت في صالح حاشية يلتسين أو ما تسميه انتصار الحرس الجديد على الحرس القديم رغم أنهما معا يشكلان حاشية بوتين والغريب فعلا أن أول حكومة

شكلها بوتين كي تعكس توازن السلطة في محيط الكرملين بدلاً من معالجة الأوليات السياسية والاقتصادية فلا يمكن التوقع بأنها ستكون حكومة ناجحة على الإطلاق لقد كانت هذه الحكومة أشبه بلغم أرضي كاد ينفجر في وجه بوتين لأن أعضاء الحكومة كان لا يهمهم تنفيذ سياسة حكومية منظمة بقدر ما يهمهم السعي لتحقيق مصالح المجموعات التي ينتمون إليها وتحقيق استراتيجيات تلك المجموعات.

كان أعضاء فريق أول حكومة شكلها بوتين يحاولون بشتى الطرق والوسائل الدخول في فلك الرئيس بوتين أو يجعلونه هو يدخل في فلكهم بينما التزم الرئيس بوتين جانب الصمت الأمر الذي أعطى الانطباع بأنه لم يكن يعرف ما سيفعله في الخطوة التالية لقد كان الوجود التوفيقي الدائم للرئيس بوتين ضروريا لمنع الصراع بين المجموعات ذات المصالح من أن يأخذ شكلها شكلا تدميريا في الواقع .

كان الرئيس الروسي بوتين مع برلمان ونظام ضعيفين ومع غياب حكم ذاتي محلي، فقد كان بوتين مضطراً للعب دور الحاكم والحكم في آن واحد..

*) كان هنالك شعور يصعب تجنبه وهو أن الرئيس الروسي بوتين قد سمح لفريقه أو حاشيته بتحويله إلى مجرد سلعة في حملة علاقات عامة، والدليل على ذلك أنه كان يقرأ خطابات مُعدة سلفا،

ويستخدم إيماءات تدرب عليها مسبقاً، مما أخفى شخصيته وجعل من الصعوبة بمكان التمييز بين بوتين المصطنع وبوتين الحقيقي، لقد ظل بوتين لفترة طويلة منذ تربعه على عرش الكرملين مشوشاً ومرتبكا من جراء المشاكل والحالات الطارئة... فلم تنفعه حاشيته على الإطلاق في تلك الفترة الزمنية التي صاحبت تشكيل أول حكومة له كرئيس لروسيا..

# كيف أدار بوتين عرش الكرملين؟!

**«الأشهر الأولى»**

كانت طريقة بوتين في إدارة عرش الكرملين لا تسير بوتيرة واحدة بل أدارها بسياسة الثعلب مع فريسته...

في أشهره الأولى في منصبه اعتمد بوتين على الروية وعدم الاستعجال في اتخاذ القرارات الحاسمة مما جعله يبدو متردداً ولكن إذا ما نظرنا بعين فاحصة إلى شخصية بوتين وطريقته في إدارة الأمور وفي ماضيه فستعرف يا عزيز القارئ أن هذا الحذر الشديد من جانب بوتين في اتخاذ قراراته الهامة كان طريقته الوحيدة لتأمين موقعه دائما.. أما الآن فالموقع هو قمة عرش الكرملين لذا لابد من تأمين موقعه تأمينا تاما وكاملاً.

*) لم يكن بوتين يجد شخصا يثق به ويستند عليه باستثناء فريق يلتسين الرئاسي والذي كان بوتين يمسكه في قبضته، ولسبب ما داخل شخصية بوتين قرر الاستغناء عن استشارات الفريق الرئاسي والبدء بالعمل بنفسه في اتخاذ قراراته وإلى إظهار قدرته على

التحكم في عملية صنع القرارات، كان عليه أن يتعلم فن الحكم وذلك لم يكن بالأمر اليسير على أي حال وكان حتما سيستغرق وقتا.

*) وبالفعل استغرق ذلك وقتا طويلاً فبوتين بعكس العديد من أسلافه كان مضطراً لأن يصبح سياسياً بعد تسلمه منصبه الرئاسي وتربعه على قمة عرش الكرملين، وكان يعرف حق المعرفة أنه لم يكن هناك ثمة ضمانات بأنه حتى إذا أصبح سياسيا سيمضي قدماً ويصبح زعيما.. حلم الزعامة كان يراوده دائما ولا زال... ولكن هيهات لم يصفه أحد بهذا الوصف لا في الشرق ولا في الغرب..

*) استطاع بوتين خلال عدة شهور أن يتغير ويغير من سياساته، وكان الكثير من الناس يصفون بوتين بأنه رجل عملي وذكي وسريع التعلم فمنذ بداية تربعه على عرش الكرملين وخلال عدة أشهر أظهر بوتين قدرته على التفكير الصائب والتحدث بمنطقية ودقة، وتعلم كيف يتواصل مع الجمهور العريض وهو ما لم يكن متوافرا أثناء حملته الرئاسية الانتخابية ولكنه تعلم ذلك بعد أن تربع على عرش الكرملين، حتى أن ذلك أضاف سحراً خاصا إلى شخصيته كما تعلم خلال الشهور الأولى في الكرملين كيف يتحدث إلى الصحافة وكيف يعطي إجابات عميقة، وكيف يصبح مثابرا في عمله إلى أقصى الحدود وهو الأمر الذي أكسبه بعد مدة قصيرة من الزمن كمية هائلة من المعلومات حول جوانب متعددة من أسلوب الحكم،

وفوق كل ذلك أثبت بوتين أنه يملك ذاكره رائعة حتى أن المراقبين السياسيين وصفوه بأنه منهجي على نحو مذهل وشغوف بالمعرفة إلى أبعد الحدود وأنه استطاع أن يوظف هاتين الميزتين في فهم جوهر طريقة عمل السلطة الروسية.

*) خلال شهوره الأولى بعد تربعه على قمة عرش الكرملين وبعد فترة من الترقب والانتظار والاستطلاع والفهم قال بوتين أشياء منطقية تماماً وسرعان ما بدأ في اتخاذ خطوات في الاتجاه الصحيح، وذلك إذا اعتبرنا أن نقل روسيا باتجاه سوق أكثر فاعلية هو الفعل الصحيح من أجل ذلك وظف بوتين شخصيات ليبرالية معروفة من أمثال جيرمان غريف، وأندريه إبلاريونوف، وإليكس كودرين، وآخرين ممن عرفهم في أثناء عمله في بطرسبورغ، وقد قام بوتين بإحضار هؤلاء الليبراليين جميعا للعمل معه في حكومته الجديدة..

*) لقد طلب بوتين من جيرمان غريف، ابتكار استراتيجية جديدة لتنمية روسيا وتحديد الأولويات فيما يتعلق بمهام الإصلاح الاقتصادي في روسيا.

*) لقد أعطى وجود هؤلاء الليبراليين الذين جعلهم «بوتين» جزءاً من دائرته الخاصة انطباعاً بأنه لن يسمح بحدوث أي ردات فعل عنيفة مضادة للسوق داخل روسيا أو خارجها.

*) على الرغم من الطاقة الإيجابية التي كان يملكها بوتين وأن

هذه الطاقة كان يمكن استخدامها من أجل المزيد من الخير ولكن تعقيدات بوتين الخاصة وأفكاره المسبقة كانت قادرة ربما على دفن هذه الطاقة.

**« ردة بوتين »**

*) ولم تمضى أكثر من خمسة شهور إلا وبدأ «بوتين» وكأنه شخص آخر ووجه آخر غير ذلك الذي كان منذ حفل التنصيب حين ظهر بوتين القلق العصبي الخائف على عرش الكرملين.

*) قسم بوتين الجميع من دافع قلقه الداخلي إلى أصدقاء وأعداء فمنح زملاء السلاح من حاشيته وهي حاشية «يلتسين» صك البراءة مثل رئيس الإداري السابق بورودين الذي أُتهم مراراً بالفساد ولم يعط «بوتين» بالطبع نفس الحق إلى أولئك الذين كانوا يخالفون سياساته أو أولئك الذين لم يظهروا ما يكفي من الطاعة وهو ما فعله مع فلاديمير غوزينسكي وإمبراطوريته الإعلامية وكذا ما فعله مع «بيريزوفسكي».

*) وقف بوتين بالمرصاد لحرية الصحافة وكان موقف بوتين من حرية الصحافة سببا في إثارة القلق في المجتمع حيث بدأ «بوتين» بشكل تدريجي في اعتبار أي انتقاد لسياساته بأنه تحدٍّ للدولة مستغلا أي فرصة كانت تسنح له للرد على المنتقدين.

*) كان الصحفي والإعلامي أندريا بابيتسكي وكان يعمل مراسلاً

صحفيًا لصالح راديو ليبرتي ينتقد سياسة موسكو في الشيشان في تقاريره التي كان يرسلها من ميدان المعركة خلال عامي 1999، 2000م لقد كـان هـذا الصحفي أول ضحايا امـتـعـاض بوتين من استقلال وسائل الإعـلام.. دعونا نعرف ماذا فعل بوتين بهذا الصحفي، لقد أقيمت على هذا المراسل إجراءات قضائية روسية تعسفية، أُتهم بالتجسس لصالح الشيشان وتم القبض عليه ووضع في زنزانة انفرادية واستجوب واختفى الصحفي نهائيا من الوجود.. وقيل إنه تم مبادلته بجنود روس وأن الشيشان وافقوا على استلامه مقابل جنود روس وفي تمثيلية تم تسليمه إلى مجموعة مسلحة شيشانية إن كان ذلك صحيحا ولكن هل كانت المجموعات المسلحة تقوم بالتصوير أمام الكاميرات أثناء عمليات تبادل الجنود.. بالطبع اختفى بابينسكي ليكون عبره لمن ينتقد سياسة روسيا ثم تم الإعلان على أنه ما زال سجينا في روسيا.

*) أجمع رجال الإعلام الشرفاء في الشرق والغرب على أن حادثة بابينسكي هي «إعراض نظام توتاليناری في قمع تعددي»، وأن بوتين بهذا العمل يكون قد أعد طريقة سوفييتية جديدة ونموذجية في التعامل مع الصحفيين المستقلين الذين يمتلكون الشجاعة لمواجهة السلطة بآراء مختلفة عن الخط الرسمي..

سجلت حادثة المراسل الصحفي السوفيتي بابينسكي نقطة

سوداء في أول سنة من سنوات بوتين في الكرملين بل وصل الحد إلى التصريح صراحة من جانب رابطة المراسلين الصحفيين بأن الاضطهاد الذي تعرض له بابيتسكي على أيدي أجهزة الأمن الروسية قد تم بمعرفة بوتين الشخصية وأصبحت حالة بابيتسكي هي الموضوع الأبرز في كل وسائل الإعلام الروسية وصدر بيان عن رابطة المراسلين الصحفيين وكان بمثابة رسالة احتجاج رسمية ضد سياسات بوتين جاء فيها.

«منذ بدء البيروسترويكا لم يحدث أبدا أن سمحت السلطات لنفسها بالقيام بمثل هذا العمل المهين والمخالف للقانون ضد أحد ممثلي وسائل الإعلام الجماهيرية فإذا كان الصحفي بابيتسكي قد ارتكب عملاً غير قانوني من وجهة نظر السلطات الرسمية فإن مسألته وإدانته أو براءته ينبغي أن تقرر في محاكمة قضائية علنية وإذا كانت الأفعال التي ارتكبت بحق بابيتسكي رده فعل على محتوى تقاريره من الشيشان فإن ذلك يُعد انتهاكا مباشراً لمبدأ حرية الصحافة الذي كفله الدستور الروسي.

*) وإزاء هذا الموقف الذي سُجل كنقطة سوداء في سجل بوتين داخل الكرملين، ولم يجرؤ الكرملين في الاستمرار في تمثيله عن بابيتسكي لم يجرؤ على إبقاءه في السجن أو إعدامه نتيجة الضغوط العالمية والدولية والأهم المجتمع الروسي الذي لم يتقبل الأمر نهائيا

والمفاجأة كانت في إطلاق سراح ذلك المراسل الصحفي وإسقاط جميع التهم الموجه ضده.

*) كان هذا التراجع الإجباري من قبل السلطات الأمنية الروسية مؤشرا إلى اعترافها بالواقع السياسي الجديد وفشل بوتين في قمع الصحافة.

# بوتين وحكم رئاسي مطلق

## الحكم الرئاسي المطلق

لقد حلم بوتين بأن يكون حاكما حكما رئاسيا مطلقا وحرص على تحقيق ذلك الحلم فعلاً.. ففي محاولة منه لتعويض شيء من هزيمته في تشكيل حكومته الأولى، ضاعف بوتين جهوده الرامية لتعزيز نظام حكمه الرئاسي المطلق الذي طالما حلم به.

*) أولى خطوات بوتين نحو حكم رئاسي مطلق كانت تغيير استقلالية الأقاليم الروسية، وكان بوتين يعتقد أنه كان سيلقى مقاومة أقل حدة مما توقعه المراقبون السياسيون.

*) يمكن القول إن الفكرة المتعلقة بإنشاء روابط جديدة بين المركز والأقاليم، وتقليص سلطة البارونات المحليين قد نوقشت مراراً في أوساط بوتين، لكن بوتين انتظر حتى تحين اللحظة المناسبة للقيام بهجومه على المفرطين في الثقة بأنفسهم.

*) في مايو أيار من عام 2000م اعتقد بوتين أنه حان موعد تلك اللحظة، فبوتين الذي أقام حفل تنصيبه رئيسا لروسيا شعر بأنه جاهز لإظهار روح المبادرة لديه، لقد تم اتهامه منذ توليه عرش

الكرملين بالضعف والتردد وكان يعتقد بأن الوقت قد حان لإثبات أنه لم يكن ضعيفا خلال الشهور الأولى من توليه رئاسة البلاد.

*) في 13 مايو «أيار» عام 2000م أصدر بوتين مرسوماً يقضي بتشكيل سبعة أقاليم فيدرالية جديدة صودف أن حدودها كانت تطابق مع حدود الأقاليم العسكرية، وقد قسمت فيما بينها جمهوريات وأقاليم روسيا الاتحادية البالغ مجموعها 89، وكان تشكيل هذه الأقاليم يعني تعزيز سلطته المركزية على أنشطة القادة المحليين، والطبقة الحاكمة المحلية المشكلة حديثا، وعين بوتين ممثلو الرئيس زعماء على هذه الأقاليم، خمسة منهم كانوا من أجهزة السلطة الرئيسية «السيلوفاكي» وكانوا هؤلاء جميعا مقربين أيضا من بوتين.

*) ولم يكن رد الشعب الروسي على ما فعله بوتين إيجابيا على الإطلاق فقد رد الشعب الروسي على مبادرة بوتين هذه بحالة من الفوضى لكنها لم تصل إلى حد أن تكون مقاومة عارمة، وبعدها أرسل بوتين ثلاثة مراسيم جديدة إلى الدوما للموافقة عليها، وهذه المراسيم كانت تضعف من الأدوار المناطة لكل من القادة المحليين والمجلس الأعلى في البرلمان، ومجلس الاتحاد، والهيئة التشريعية لحكام الأقاليم ورؤساء الهيئات التشريعية المحلية، وكانت غاية بوتين من ذلك هي التغلب على النزعات الفيدرالية الواسعة وبناء نظام أشد صرامة تكون فيه الأقاليم تابعة للمركز، وبذلك يعيد إلى

موسكو السلطات التي تخلى عنها يلتسين لصالح الأقاليم لقد كان قراراً خطيرا وليس بالهين ولا السهل إطلاقاً.

*) والغريب فعلاً أنه نجحت خطوات بوتين الأولية الرامية إلى إبطال تأثير الزعماء المحليين، وساعده في ذلك عدم وجود تنسيق بين الحكام ورؤساء الجمهوريات المستقلة فيما بينهم لصد هجوم بوتين، حتى المحاولة التي قام بها بيرزوفسكي الذي كان قد ترك معسكر الكرملين في ذلك الحين وكان يحاول تشكيل معارضة لبوتين بين زعماء القبائل ولكن هذه المحاولة فشلت أيضا لأن الزعماء المحليون كانوا قد قرروا المقاومة بشكل منفصل وهذا ما دمرهم وفي المقابل على الجبهة الأخرى جبهة بوتين لقد استطاع بوتين أن يلعب بكل أوراقه التي أعدها له حاشية الحرس القديم بشكل جيد جداً لذا قد استطاع بوتين أن يحرم مجلس الاتحاد من دوره كند للرئيس وحرم كذلك الحكام من جزء كبير من سلطتهم وبطريقة ما كان بوتين ينتقم لعدم السماح له بتشكيل حكومته الأولى بنفسه ويبقى السؤال كان ينتقم مِنْ مَنْ مِنْ الشعب أم مِنْ الذين حرموه هذا الحق. ما حدث بعد ذلك قد يجيب على هذا السؤال بشكل تدريجي استفاقت المؤسسات السياسية من الصدمة التي أحدثتها مبادرة بوتين وقد أصبح واضحاً أن معظم أعضاء المؤسسات السياسية كانوا يعانون في ذلك الوقت من مشاعر مشوشة. يا سبحان الله فقبل

فترة وجيزة جداً من هذا القرار كان بوتين متهما برده فعله المتأخرة وأنه ضعيف وسلبي وما بين ليلة وضحاها أصبح متهما بالتشدد في ردة الفعل أكثر من اللازم. لذا أكدنا على أن بوتين لم يكن معتدلاً ولا متدرجاً في اتخاذه للقرارات المصيرية لقد بدأ بوتين فعلاً في محاولة جادة لتغير آلية السلطة في روسيا وتغير النظام نفسه. وكان بوتين يعلم جيداً أن قراراته هذه يمكن أن تؤثر على مجموعات عديدة في دوائر النفوذ الحقيقي هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن المراقبين السياسيين لم يكونوا متأكدين من أن قرارات بوتين هذه ستحقق هدفها الذي كان يأمله بوتين وهو تكوين نظام رئاسي مطلق فعال ومستمر. لقد حاول «يلتسين» من قبله القيام بذلك وفشل فشلا ذريعاً ولم يكن ثمة خلاف بين أبناء الشعب الروسي حول مسألة «الأسياد الإقطاعيين» فهؤلاء كانوا في الأقاليم الروسية منذ زمن طويل وكانوا بحاجة لتقليص نفوذهم كما كانت القوانين المحلية هي الأخرى بحاجة لأن تتوافق مع الدستور فمن بين الجمهوريات الـ 21 لروسيا الاتحادية كانت هناك جمهورية واحدة فقط هي جمهورية «أودمورتيا» يتوافق دستورها توافقا تاماً مع الدستور القومي الروسي وثبت أن نحو 30% من القوانين المحلية في الجمهوريات الـ 21 المكونة لروسيا الاتحادية كانت مخالفة للمعايير المثبتة في الدستور وذلك وفقاً لما ذكرته صحيفة «فيدوموسيت» الروسية الصادرة في

16 مايو أيار عام 2000م ويرى المراقبون السياسيون أنه ممكن حل هذه المشكلة بطريقتين إما عن طريق تعزيز السيطرة الإدارية أو عن طريق تقوية السيطرة القضائية لعمل الإدارات الإقليمية واستخدام أدوات ضغط مالية واقتصادية ولقد اختار بوتين الطريقة الأولى هي تعزيز السيطرة الإدارية ولكنها سميت بطريقة «تبني» الحل الإداري وبالطبع فإن اختيار بوتين لهذه الطريقة يوضح رغبة بوتين في زيادة سلطته ولم يكن هذا بالأمر السهل والهين على الأرض وبهذا تم بناء قضائي وسيطرة مالية على المقاطعات كان يتطلب وقت القيام بذلك فيما كان بناء نظام يعتمد على السيطرة الإدارية من جانب كوادر مالية موالية للرئيس بوتين يسير بمعدل أسرع بكثير ويبدو هذا هو الأهم أن بوتين لم يعرف أساساً أن السيطرة البيروقراطية تحمي دائما في داخلها عناصر تسبب الفوضى والخروج عن السيطرة.

يمكن القول إنه في الحقيقة كان كثير من المراقبين السياسيين يشكون ويرتابون في قدرة ممثلي بوتين على فرض سيطرتهم بشكل فعال على الأقاليم الفيدرالية في حال عدم امتلاكهم الحق في استخدام التحويلات المالية أو الحق في السيطرة على أجهزة السلطة الرئيسية ولكن بالمقابل إذا ما منح بوتين ممثليه في تلك الأقاليم سلطاتهم فإنه بذلك يكون مجازفاً بسلطته ونفوذه لأنه في هذه الحالة سيحولهم إلى أشخاص أصحاب سلطة وهو ما يرفضه

بوتين مطلقا لأنه يريد أن يكون الحاكم المطلق وصاحب السلطة الوحيد علاوة على ذلك كان هناك شعور بأن مبعوثي بوتين كان يعينون عن عمد من بوتين ويتحملون مسئولية كل ما يحدث في الأقاليم ولم يكن بوتين مسئولا عن أي شيء فقد كان باستطاعة بوتين دائما إلقاء المسئولية على عاتق ممثليه وكان بوتين يعلق دائما أن المبعوث هو المسئول عن كل شيء وكان يهدف بالطبع الحفاظ على سمعته لكن ذلك بالطبع لم يكن يساعد على جعل إدارة الحكم بهذه الطريقة أكثر فاعلية كما أن إمكانية أن يكون بوتين قادراً على طرد الحكام في أي وقت يشاء بدا لنقاده عن أنه عبارة عن منح السلطة إلى المركز أي أن الحكم هو حكم حاكم مطلق وعندما أدرك أعضاء الكرملين ذلك قاموا بتشكيل مجلس سمي مجلس الاتحاد عن طريق تعيين سياسيين ثانويين ممثلين للأقاليم علما بأن العديد منهم لم يزر قط تلك الأقاليم التي يفترض أنهم كانوا سيمثلونها وهو الأمر الذي أثار ردة فعل سلبية عامة أنها تكاد تكون طريقة لتمكين هذا المجلس الأعلى من القيام بمسئوليته بمنع قرارات الدومة كما كان هذا المجلس الأعلى يقوم بلعب دور المصد الواقي بين بوتين والدومة كما يقوم هذا المجلس باتخاذ القرار بمسائل تتعلق بالحرب والسلم ولم يكن هذا الأمر الواضح للعيان يتطلب عارفا بالدستور كي يدرك بأن وجود مجلس يجتمع فيه ممثلو الهيئة التنفيذية ويلعبون

دور السلطة التشريعية مخالفا لمبدأ فصل السلطات من جانب ومن جانب آخر فإن مجلس الاتحاد الأعلى هذا يشكل العائق الوحيد في الطريق المؤدي إلى تعزيز استبدادية بوتين غير أن الأمر الأكثر خطورة الذي أقره المراقبون السياسيون أكثر كان قرار الكرملين بالقضاء على الحكم الذاتي المحلي.

لقد غضب الشعب الروسي من هذه القرارات ولكن زعماء الأقاليم قبلوها ويرى فريق من المراقبين السياسيين أن قبول زعماء الأقاليم لذلك من الممكن أن يعزو إلى عدم استعدادهم للدخول في معركة مع بوتين وحاشيته وإلى أملهم في التفاوض مع بوتين بشكل منفصل وكان هؤلاء الزعماء «زعماء الأقاليم» على يقين في حال فشل مفاوضتهم مع بوتين أن يلجأوا للقتال بشكل سري ضده وأنهم قادرون على إعادة خطط الكرملين وعندما سئلوا في مقابلات تليفزيونية لماذا استسلم أعضاء مجلس الاتحاد طوعا لبوتين كانت الإجابات شبه متوافقة على أن أفضل طريقة للبقاء في روسيا في عصر بوتين هي عدم المقاومة بل العرقلة، وهو ما كان يعني بالفعل أن زعماء المقاطعات كانوا يأملون الانتظار والتروي حتى تنتهي عاصفة بوتين والأغرب أن بعض زعماء المقاطعات كانوا يتبعون سياسة التملق لبوتين وفي الوقت عينه يستمرون باتباع نفس سياساتهم السابقة في مناطقهم، غير أن بوتين لم يتوقف عند حد محاولة تقوية سلطته على الأقاليم

فحسب بل تجاوز ذلك كثيرا فبعد أن شعر بقوته قليلا كان واضحاً أنه أصبح واثقاً من نفسه أكثر من اللازم ومستعدا لمحاربة أعدائه الحقيقيين بشكل مكشوف.

*) في تشرين الأول عام 2000م أرغم الكرملين بريزوفسكي على التخلي عن سيطرته على القناة التلفزيونية الروسية الأولى حيث باع بريزوفسكي أسهمه إلى الدولة وبعد ذلك وجه بوتين الضربة الثانية إلى إمبراطورية واحد من أكثر أفراد الطبقة الحاكمة نفوذا أنه غودلنسكي وهو الإعلامي الذي كان يساند منافس بوتين في الانتخابات لقد استولت سلطات بوتين وحاشيته على كل ما أمكنهم استيعابه من البرامج الشعبية التي كانت تبث على القناة التلفزيونية «N. T. V» والمحطة الإذاعية إيخوموسكفي وصحيفة ايتو جي ومجلة سيجودنيا وهـذه كلها كانت تحت سيطرة غوذيسكي وكان واضحاً أن حاشية يلتسين هي التي تعمل منذ البداية ففي 11 مايو أيار عام 2000م داهمت الشرطة الروسية المركز الرئيسي للشركة القابضة ميديا موست التي كانت تدير القناة التلفزيونية «N. T. V» والوسائل الإعلامية الأخرى التابعة لغوذلسكي ثم تم الاستيلاء على مصرف غوذنسكي موست بنك واستنتج أنصار بوتين من كل ذلك أن بوتين بدأ هجوماً على طبقة النخبة ولكن هذا لم يكن حقيقياً مطلقا لأن الشرطة لم تقترب من طبقة أفراد النخبة

المقربين من الكرملين ولكن هجوم بوتين كان انتقائيا في طبيعته وكان واضحاً أنه كان يختار المعارضين لبوتين كشخصية أو أولئك الذين كانوا يساعدون منافسي بوتين بطريقة مباشرة أو غير مباشرة فلو أن غوذيسكي هذا قد ساند بوتين في الانتخابات أو أن مؤسساته الإعلامية لم تهاجم فريق الكرملين أو أنه لم يحاول المطالبة بمعاملة خاصة من بوتين لما اقترب منه أحد ولما مسه أحد بسوء ويؤكد المراقبون أن مواجهة غوذنيسكي موست كانت إشارة واضحة بأن الكرملين قد شرع في مواجهة منتقدي بوتين أو منافسيه المحتملين بطريقة واضحة وأن مصير إمبراطورية مديا غوذنيسكي موست هي اختباراً لدرجة الحرية السياسية التي سيسمح بها بوتين وأنه بهجوم أجهزته على إمبراطورية غوذنيسكي الإعلامية إنما يقدم للشعب وللنخبة لمحة عن قواعد اللعبة التي سيفرضها بوتين وحاشيته على الجميع وبعد عدة سنوات من انتهاء هذا الأمر كله قام واحد من أبرز مقدمي البرامج الإخبارية التليفزيونية في موسكو بإعطاء تفسيره الشخصي للدوافع وراء حملة بوتين ومعه الكرملين ضد غوذنيسكي وإمبراطوريته حيث قال بأنني مقتنع بأن كل مشاكل إمبراطورية « N. T. V» كانت ناتجة عن وجود عداوة شخصية يبن غوذنيسكي وبوتين ومع بداية تنصيب بوتين حاول غوذنيسكي الرجل القوي السيطرة على بوتين منذ تنصيب بوتين رئيساً لروسيا على طريقة إما أن

تدعمني أو سأعرض مواد تسيئ إلى سمعتك.

لذا تم تصوير بوتين خلال الأيام الأولى من حكمه كرجل ضعيف ومتردد لذا أصبح الكل على ثقة ويقين أن بوتين سعى مقابل ذلك إلى الانتقام من غوذنيسكي وإمبراطوريته عندما حانت الفرصة له حيث أن الحقيقة والواقع يؤكدان أن الإعلام الحر لم يكن مناسبا لحكم بوتين على الإطلاق إذا ما سلك الطريق الاستبدادي وإذا ما رغب في حكم رئاسي مطلق.

ولم يكن غوذنيسكي وإمبراطوريته وقناة الـ «N. T. V» هي التي استهدفها بوتين فهناك المحطة التليفزيونية المسماة القناة الثالثة والتي كان يسيطر عليها لوجوكوف وهو الآخر كان أحد المنافسين الرئيسيين لبوتين في الانتخابات فلم يسلم هذا الرجل من يد بوتين وفريق الكرملين المؤيد لبوتين. حتى فريق العمل في القناة الثالثة الروسية هو الآخر لم يسلم من ترهيب بوتين وأجهزة الكرملين التابعة له وهو الأمر الذي أدى إلى وجود انطباع عام لدى المراقبين السياسيين بأن الكرملين مع بداية عصر بوتين قد انحدر تماما أي يستوي اتباع الأساليب الروسية القديمة والتي كان أقلها هو القمع وتخويف الأعداء ليس هذا فحسب بل ترهيب المنافسين السياسيين المحتملين والدليل على ذلك أن هجوم بوتين الثاني لم يكن على رجل أعمال يكن له بوتين العداوة بل كان هجوماً موجهاً نحو المجموعات

الإعلامية التي كان يسيطر عليها منافسون سابقون لبوتين ولحُسن الحظ وجد بوتين والكرملين الدعم لهذه السياسة ليس فقط من حاشية يلتسين السابقة أو من «السيلوفيكي» بل ومن جزء هام من الشعب الروسي أيضا الذي كان يرى في الوسائل الإعلامية الحرة قنوات تدعم نفوذ طبقة النخبة وتجعل منهم أصحاب نفوذ وقرار قد يتعارض مع قرارات الكرملين والدومة وهو اعتقاد رآه البعض صحيحاً إلى حد ما. ففي بداية تشرين الثاني من عام 2000م أظهر استطلاع أجراه المركز الروسي لأبحاث الرأي العام بأن 7% فقط من الشعب الروسي كانوا يعتقدوا أن الشبكات التليفزيونية الرئيسية في روسيا مستقلة تماما بينما اعتقد 18% من الشعب الروسي بأن هذه القنوات تابعة للدولة بينما كان يعتقد 79% بأن هذه القنوات التليفزيونية تابعة لأفراد من طبقات النخبة الذين يحاولون دفع روسيا إلى نموذج الإعلام الغربي الذي لم يكن مقبولاً على الإطلاق في فترة ما بعد يلتسين حيث كان الشعب الروسي يأمل بعد استقالة يلتسين أن يتولى إدارة شئون البلاد رئيس قوي قادر على السيطرة على البلاد سيطرة تامة بما فيها السيطرة على وسائل الإعلام وكان هناك قطاع واسع من الشعب الروسي ينظر إلى الصراع ضد وسائل الإعلام المستقلة على أنه صراع أفراد يريدون نفوذا فوق نفوذ الدولة لا أكثر ولا أقل وهكذا بدأ خط بوتين السياسي

في حكم رئاسي مطلق مصاحباً ذلك بخطته لتوسيع سلطته الرئاسية وبدأت هذه السياسة تزداد وضوحاً شيئا فشيئاً خلال السنة الأولى من تربع الثعلب الأحمر على عرش الكرملين قد يكون سلوكه خلال الأيام الأولى من توليه مقاليد الأمور مجرد تكتيك استخدمه بوتين كي يتجنب المواجهة المباشرة والاصطدام لتوليه مقاليد الأمور.

لقد أظهر إصلاح مجلس الاتحاد وسياسته التي تبناها بوتين بمساعدة الكرملين أن بوتين سيقوي على بناء نظامه الخاص في إدارة الحكم وظهر واضحاً أن بوتين الديكتاتور في جوهره كان يتظاهر بأنه رجل متردد وشخص تابع للحرس القديم في حين أنه كان في واقع الأمر يعلم جيداً ماذا يريد ومنذ بداية يومه الأول، ولكن يرجح بعض علماء النفس أن بوتين شخصاً شخصيته ليست بسيطة ولا منبسطة بل أنه أكثر تعقيداً من ذلك إنه شخص يجمع ما بين العناد والتردد ما بين الإحساس وانعدام الرؤية، ما بين الشك والارتياب في كل شيء ومن هنا كانت الرحلة التي قطعتها روسيا مع بوتين مغامرة لا يمكن توقع نهايتها على الإطلاق ففي أقل من عام على توليه مقاليد الأمور على قمة عرش الكرملين لم يكن هناك مجالاً للديمقراطية أو حرية الرأي بين النخبة السياسية في روسيا بل أقام بوتين صرح سلطته على أساس مبدأ التبعية والطاقة المطلقة كان بوتين يقبع على القمة ومن تلك القمة يرسل أوامره إلى أتباعه والذين كانوا يمرورنها بدورهم إلى مَنْ هم أدنى مرتبة منهم وهكذا كانت الأمور تدار منذ السنة الأولى

التي تربع فيها بوتين على عرش الكرملين كانت السياسة المتبعة هي التبعية المباشرة والامتثال للأوامر حيث كان يضمنان علاقة خالية من العيوب بين طوابق الإدارة ومستوياتها المختلفة وفوق ذلك كله أن آلية التبعية هذه لم تكن تتطلب برلمانا أو معارضة فعالة أو نظاماً متطورا متعدد الأحزاب أو وسائل إعلامية حرة وكان نظام التبعية هذه يسير إعجاب بوتين شخصيا بصفته رجلا قادماً من جهة أمنية عُليا هي جهاز الخدمة السرية ومديراً تكنوقراطياً فالسلطة التنفيذية التي أوجدها تدعمه دعما مطلقاً وتسمح له بتنفيذ قراراته بسرعة دون هدر للوقت في عمليات التنسيق التي لا تنتهي من جهة ومن جهة أخرى فإن هذا النموذج من الإدارة منحه موارد السلطة التي يحتاجها وبذلك فهو بهذا الأسلوب الجديد لم يكن معتمداً على الجماعات القديمة «حاشية يلتسين» بل أوجد لنفسه حاشية تجمع ما بين القديم والحديث وذلك لضمان حكم رئاسي مطلق له وكان بوتين يحاول من وراء ذلك إعادة إحياء النظام الروسي القديم أي النظام الذي يرتكز على سلطة الفرد إلا أن تلك الدولة المبنية على التبعية العمودية تفتقر دائما إلى الاتصال من الأسفل إلى الأعلى وكل وسائل اتصالاتها تكون من الأعلى إلى الأسفل فقط وهذه الدولة التي انهارت عام 1991م لذا يتوقع العالم قريباً إمكانية النسخة الجديدة التي صنعها بوتين وجعلها النظام الروسي الجديد لذا كان هناك تأكيد على أن نظام بوتين في حكم رئاسي مطلق لن يكون في صالح النظام الروسي على الإطلاق.

# انتصار بوتين الأول

**« انتصار بوتين الأول »**

كان صيف عام 2000م هو موسم الانتصار بالنسبة لبوتين فقد حقق انتصاراته المتوالية في ذلك الصيف وكان انتصاره الأول هو ترويض الحكام وإنهاء استقلالية مجلس الاتحاد وإسكات الدوما وإضعاف كل المؤسسات السياسية الأخرى وإرهاب الصحافة، صحيح أنه لم يكن قد انتصر على غوذنيسكي بعد، ولكن بعد انتصاراته في موسكو والأقاليم لم يعد له ثمة منافسين أشداء أقوياء يمكن أن يخشاهم بأي حال من الأحوال، فبعد تلك الانتصارات المتوالية له أصبح زعماء مثل بانبوكو، وغريغوري يافلينسكي لا يخشى منهم على الإطلاق لأنهم توقفوا عن إزعاج الكرملين، وذلك عندما رأوا انتصارات بوتين، وكانوا قد رأوا الناس سعداء تماماً ببوتين، وأنهم كانوا يستاءون من أي انتقاد لتصرفاته وهذا ما دفع يافلينكس للإعلان عن قراره بتأجيل انتقاد بوتين إلى أن تتوضح سياساته في قضايا أخرى وهكذا كان الانتصار الأول لبوتين انتصارا باهراً بكل المقاييس.

*) وبعد هذا الانتصار الباهر لبوتين على خصومه السياسيين لم يكن ثمة شيء على المسرح السياسي يهدد بوتين، أصبح بوتين القوة الوحيدة الموجودة، وأصبح هو المصدر الحقيقي الوحيد للسلطة والنفوذ، أما القوى السياسية الأخرى والمجموعات والمؤسسات فقد كانت تكتفي بالرد على ما يقوم به بوتين، وهكذا أصبح بوتين

هو التجسيد الوحيد للحياة السياسية في روسيا في غياب بقية الأطراف السياسية الهامشية بل والمثيرة للشفقة تماما أيضاً.

*) ويمكن القول إن تبيان السبب أمر مهم على أية حال لقد زاد بوتين فعلاً من سلطته إلى هذه الدرجة التي بموجبها يبسط نفوذه على كل شيء، ويشير بعض المراقبين السياسيين إلى أن يلتسين كان يظهر كثيرا أكثر ديكتاتورية من بوتين لذا تم الترحيب بكل الخطوات التي قام بها بوتين الذي ظهر بمظهر الإنسان البسيط في وقت كان المجتمع الروسي تواقاً إلى البساطة والأمان كان الناس متعبين إلى درجة أنهم لم يكونوا يستطيعون التفكير أو الاختيار من بين الخيارات التي كانت توفرها لهم الديمقراطية والتعددية السياسية وكانت قائمة السياسيين الموجودين قصيرة جداً، وهؤلاء السياسيون لم يكونوا أهلا لا للثقة ولا لعقد الآمال عليهم وفوق ذلك سئمهم الناس أيضا أولئك الذين بالأمس فقط كانوا يسخرون من بوتين السياسي الذي لن يتمكن من الخروج من حيث يلتسين وباتوا يعبرون عن قلقهم مما يمكن أن تؤدي إليه سلطات الرئيس الواسعة كان هنالك انطباع بدأ بالتشكل في الأذهان مفاده أن فلاديمير بوتين بعد اكتسابه الثقة ومع معدلات القبول الشعبي العالية كان يريد الإطاحة (بضربة واحدة) بكل المجموعات المنفذة التي لم تكن تعتمد عليه وتقوي مؤيدي سلطة الشخصية ولو استمرت الأمور على هذا النحو لما بقي منافس واحد في وجه بوتين خلال أربع سنوات ولأصبحت

مسألة إعادة انتخابه مضمونة ولما بقى أشخاص منفذون آخرون في الساحة السياسية وفي هذا الخصوص قال أحد أفراد حاشية بوتين ـ وهو الكسندر فولوشين ـ قال كل ما نفعله ينجح كم هو ممل....

بالفعل بالمقارنة مع سنوات يلتسين، كان عهد بوتين مملا شيئاً فشيئاً فالصراعات السياسية التي كانت تنشب على الدوام بين الأطراف المتنوعة على المسرح السياسي الروسي اختفت نهائياً، واختفى معها تقريباً كل اللاعبين السياسيين المستقلين تاركين مكانهم للمتملقين والمتزلقين من حاشية الرئيس بوتين وبذلك تغير أسلوب وخطاب السلطة حيث أصبحت الكلمات الآن إيجابية ومؤكدة على الدوام الأمر الذي يذكرنا بمرحلة ما قبل غورباتشوف فإذا كانت الحياة السياسية تعني توليفة من المؤسسات والمنظمات المستقلة ووجود قنوات للتأثير وآليات لتنظيم الصراع فإن هذا الوضع كان يمثل إن لم تقل نهاية الحياة السياسية انقراض العديد من مميزاتها على أقل تقدير ولم يختلف الصراع على السلطة فحسب بل أصبح الصراع من أجل الحفاظ على السلطة أمرا غير ضروري لقد جاء لكي يبقى فترة طويلة وربما إلى الأبد وفقا لتعبير بعض الديمقراطيين والليبراليين الحاليين الذين كانوا يخافون ألا يجدوا مكاناً ملائماً لهم يساعدهم على البقاء في المناخ الجديد وفي تلك الأثناء انصرف بوتين إلى الاهتمام بالشؤون الدولية ذلك أن نشاطه على الساحة العالمية يمكن أن يعزز من شرعيته وعوامل الاعتراف به وكذلك قبوله كلاعب

في النادي السياسي العالمي وفي هذا الإطار تحول لقاء مجموعة الدول الصناعية الثماني الذي انعقد في أوكيتاوا صيف 2000م إلى حفلة ظهور له، لقد تحدث بوتين في ذلك اللقاء بشكل جيد وأعجب أعضاء النادي العالمي بهدوئه وبساطته وسلوكه العملي على أي حال لم يكن صعبا إرضائهم بعد يلتسين أي رئيس روسي يمكنه الوقوف بدون مساعدة من أحد كان سيعتبر ناجحاً أجرى بوتين حواراً بناء مع الرئيس الأمريكي بيل كلينتون حول مسألة انسحاب الأميركيين المحتمل من معاهدة مكافحة الصواريخ البالستية التي وقعت في عام 1972م مستشعراً بموافقة فرنسا وتفهم ألمانيا لقد أظهر اللقاء ردات فعل بوتين السريعة ومقاربته التكنوقراطية الواقعية.

قبل ذلك الاجتماع كان بوتين قد ذهب إلى كوريا الشمالية حيث سمع من قائدها كيم جونغ إيل اقتراحاً باستعداده لمقايضة البرنامج الكوري للصورايخ مقابل أموال غربية وببراعة عرض بوتين الفكرة من لقاء مجموعة الثمانية لكن كيم غير رأيه وسحب فكرته محرجاً بذلك بوتين، كان على الزعيم الروسي الجديد أن يتعلم بأن يكون حذراً ويتجنب أن يصبح ورقة في لعبة شخص آخر إلا أن الإحراج مع كوريا الشمالية لم يغير الانطباع الإيجابي الذي أخذه قادة العالم عن الرئيس الروسي حتى أن المستشار الألماني «غيرهارد» اقترح بأن لقاءات مجموعة الثماني القادمة ينبغي ألا تعقد بدون بوتين وهكذا لم ينجح بوتين في الانضمام إلى النادي الدولي الأسمى وحسب بل فعل ذلك بكرامة ووقار.

في الداخل استمرت استطلاعات الرأي في روسيا بإظهار شعبية الزعيم الجديد غير المسبوقة ففي تموز من العام 2000م وفقا للمركز الروسي لأبحاث الرأي العام الذين كانوا راضين عن بوتين 17 بالمائة والذين لم يكونوا راضين 10 بالمائة فقط وفي نفس الوقت وافق 60 بالمائة على تركيز كل السلطة في يد رجل واحد كطريقة لحل مشاكل روسيا و 27 بالمائة أبدوا اعتراضهم و13 بالمائة لم يبدوا رأيهم لقد ساند الشعب الروسي رئيسه الجديد على أمل أن ينجح في التعامل مع الفوضى التي ورثها عن يلتسين بالرغم من أن الشعب لم يكن على ثقة بأن أحداً سيتمكن من جلب النظام إلى بلده وفي نفس الوقت اتفق الناس على أنهم لم يكونوا يعرفون الزعيم الجديد ولا برنامجه بشكل جيد حيث اعترف 59 بالمائة بأنهم يعرفون القليل عن بوتين في حين أن 23 بالمائة فقط كانوا يشعرون بأنهم يعرفون الكثير عنه و 10 بالمائة يعرفون أي نوع من القادة هو.

لكن الحياة السياسية الروسية لا تبقى مملة لوقت طويل والشخص المسئول عن إفساد مسيرة بوتين المظفرة كان شخصاً آخر من المتحكمين في وسائل الإعلام وهو «موريس يويزوفسكي» سيد مكائد الكرملين لفترة طويلة في عهد يلتسين واحد من أذكى السياسيين في روسيا، كان يويزوفسكي في البداية بمثابة قوة دافعة وراء مشروع ظهور بوتين فقد ساعد في تشكيله وتحضيره للمنصب الأعلى في البلاد لكنه أحس بعد اعتقال غوريذفيسكي بأن صنيعه هذا سينقلب

عليه وعلى بقية المنفذين الذين لم يستطع بوتين السيطرة عليه كان يويزوفسكي من أوائل الذين أدركوا أن بوتين كان قد يبدأ بالتصرف وفق لخطة تقصى الحقائق بتحرير نفسه من الجزء الكريه من حاشية يلتسين ولمعرفته بأنه سيكون على رأس أولئك الذين سيطردون من الكرملين تحول «يويزوفسكي» إلى المعارضة حتى يفتحوا له الباب.

والمنفذون الآخـرون بـدورهـم شعروا بتغير لـون بوتين لكنهم استسلموا للأمر غير أن الكاردينال القوي وسيد المنافقين عن الكرملين لم يكن يقبل بـأن يُرمي به خارجاً دون كلمة شكر لقد أستنتج يويزوفسكي بأنه إذا لم يتم إيقاف عملية تجميع كل السلطات في يد بوتين وبسرعة فلن يبقى لاعبين سياسيين مستقلين حتى بالنسبة لهؤلاء الذين يربطه بهم التزام ما كان عصيان صانع المكائد الأول في روسيا محاولة يائسة لإيقاف المهزلة التي قد تؤدي إلى رمي البعض في سلة المهملات أو إلى العرش السياسي للبعض الآخر وبالأخص هو نفسه دون أن ننسى بالطبع أن بويروفنسكي يملك إمبراطورية تجارية كان عليه إنقاذها وكان يويزوفسكي أول من اعترض علنا على إصلاح بوتين لمجلس الاتحاد وبعد ذلك بفترة قصيرة بدأ يشن هجمات يومية على الرئيس باستخدام مصادره الإعلامية وأولها الجرائد وانتهى بذلك الصمت السياسي الذي كان سائداً. لقد اعتبر أنصار بوتين تلك الأحداث التي حدثت في صيف 2000م هي أولى انتصارات بوتين وهو يعتلي عرش الكرملين.

# العلامة السوداء
# «اعتقال غوزينسكي»

## العلامة السوداء

*) لعل أولى العلامات السوداء التي بدت واضحة لكل الساسة والمراقبين السياسيين في العالم أجمع هي تلك التي بصمها بوتين خلال حزيران عام 2000م، لقد أمر بوتين باعتقال «غوزينسكي» في خطوة لم تكن حتى تخطر ببال أحد في عهد يلتسين، ففي زمن يلتسين كان المعارضون بعيدين عن الاعتقالات، حقا كانوا يتعرضون لمضايقات وكانت مصالحهم تتوقف طبقا لمواقفهم السياسية وهو ما كان يتفق مع فهم يلتسين للديمقراطية في الحقيقة واجه يلتسين أشخاصا كانوا مزعجين له ويعارضونه بشدة وخاصة ممثلي الشركات الكبرى ولكنه لم يعتقل أحد، واعتقد أن يلتسين كان ينظر إلى الاعتقالات على أنها دلالة على وجود حكم شيوعي في المقام الأول ولهذا السبب كان يمقتها وعندما ساعده المعارضون له على الاحتفاظ بالحكم عام 1996م أصبح من المستحيل بالنسبة له أن يقوم بهذا التصرف ويعتقل معارض له في الرأي، وكان يلتسين يعرف كيف يرد الجميل حتى لو كان لأحد معارضيه وإضافة إلى ذلك لم

يدمر يلتسين خلال فترة حكمه أحدا أبداً حتى ألد أعدائه.

*) كانت آخر اعتقالات حدثت في روسيا تعود إلى عام 1993م عندما تم الزج بنائب الرئيس ألكسندر راتسكوى والمتحدث باسم البرلمان روسـلان خاسبولاتوف في السجن وكان لهذا مبررا قويا فهذان الرجلان كانا قد نظما معارضه تطورت لتصل إلى عصيان مسلح بين الآلاف من أنصارهما وانتهت تلك الأحداث بإعطاء يلتسين الأمر إلى الجيش بإطلاق النار على مبنى البرلمان إلا أنه يحسب ليلتسين أنه هو مَنْ أطلق سراح راتسكوى وخاسبولاتوف من السجن...

*) يحتمل أن يكون سبب ردة فعل يلتسين اللطيف تجاه معارضيه هو اعتبار المعارضة بمثابة جزء لا يتجزأ من القاعدة الطبيعية لنظامه، وربما كان يلتسين يدرك تماما بأن طبقة النخبة هي التي جعلت السوق ووسائل الإعلام الحرة أمراً ممكنا في روسيا لقد كان يلتسين يحترم حرية المعلومات العامة، وحقا كان يُزعج أو يغضب أحيانا عندما كان الصحافيون أو السياسيون يعاملونه بشكل سيئ أو يجعلونه هدفا لانتقادات لاذعة وقاسية ماذا كان يفعل يلتسين لم يعتقل أحدا منهم بل كان يستدعي رؤساء تحرير الصحف إلى الكرملين ويعطيهم تعليماته وأوامره التي كان يراها لصالح روسيا والشعب الروسي ولكن لم يحدث أبداً أن قمع أحداً لأنه وجه نقدا أو شن عليه هجوماً شخصياً هكذا حال يلتسين، إن بوتين شخصية

ويلتسين شخصية أخرى بكل المقاييس.

كان «يلتسين» يتذكر جيداً بأن ارتقاءه السلطة قد نجح بفضل حرية الصحافة وحرية التعبير وكان يتصرف وكأن كل النقاد والمعارضين كانوا بالنسبة إليه مجرد أشخاص مزعجة بكل المقاييس ولكن الإزعاج مهما كانت درجته مادام بعيدا عن الأمر القوى الروسي فإنه لا يمثل خطراً يتطلب التدخل الحاسم أو الاعتقال...

لهذا كان رد فعل يلتسين في غاية البساطة، كان يلتسين يتبع مبدأ «اغلق النافذة وبذلك لن تراهم ولن تسمعهم»، كان يلتسين على قناعة تامة بأن حرية التعبير في روسيا كانت خير دليل على تخلص البلاد من الشيوعية غير أن «بوتين» كان مختلفاً تماماً، كان ينظر إلى التهديد بطريقة مختلفة، ويعتبر كل ناقد له من أعداء الدولة وبالتالي يعتبرهم أعداء شخصيين له لأنه كان يربط الدولة بشخص رئيس الجمهورية وهؤلاء الأعداء من الناقدين له وفق لتصور «بوتين» يجب اقتلاعهم أو استئصالهم من الحياة السياسية، في الواقع كان بوتين بتصرفاته واعتقالاته هذه أقرب ما يكون زعيما شيوعياً من أن يكون زعيما لفترة ما بعد الشيوعية وكان سلوكه يدل على ذلك أكثر عندما يتعلق الأمر بمنتقديه.

*) كانت خصائص بوتين في حكم روسيا قائمة على مبدأ الشك وعدم الثقة أما بالنسبة لروح الانتقام فهذه الخاصية كانت ذات طبقة

أكثر شمولية بالنسبة لبوتين.

*) كانت الاتهامات التي وجهها «بوتين» إلى ميديا بوست لم تكن سياسية بل اقتصادية مثل عدم دفع الديون إلى الدولة، وكانت ميديا بوست عليها ديون متأخرة إلى شركة الغاز الطبيعي المملوكة من قبل الدولة، وكانت إمبراطورية غوزينسكي الإعلامية المستقلة تتضمن واحدة من أكثر الشبكات التليفزيونية الروسية شعبية وهي شبكة «N. T. V» لقد مُنح «غوزينسكي» حقوق بث القناة الرابعة كمكافأة له على المشاركة الفعالة إلى حد كبير لكامل إمبراطوريته «محطات الراديو والتلفزيون والصحف والمجلات» في حملة إعادة انتخاب يلتسين التي جرت عام 1996م وهي تلك المشاركة التي ندم عليها صحفيو «N. T. V» وبشكل تدريجي أسس غوزينسكي برامج إخبارية محترفة في التليفزيون كانت ظاهرة جديدة في روسيا لكنه فعل ذلك بمساعدة قروض بملايين الـدولارات التي لم يكن بمستطاعه أخذها بدون تعاون حقيقي مع سلطات يلتسين.

*) وفي واقعة اعتقال «غوزينسكي» يُرجح المراقبون السياسيون أن بوتين نفسه هو مَنْ وافق على اعتقال «غوزينسكي» أو أن ذلك حدث بعلمه على أقل تقدير، كان بوتين ينظر إلى الاعتقال على أنه خطوة أساسية في سياق عملية إرساء النظام في روسيا وبذلك أظهر إلى كل معارضيه بأنه لن يتهاون فيما يتعلق بالحفاظ على الاستقرار

السياسي في روسيا وفقا لمنظوره وهكذا ألغي بوتين واحداً من المحرمات الأساسية في نظام يلتسين وهو خطر قمع كل من وسائل الإعلام المستقلة.

*) لم يتوقع الكرملين أن يثير اعتقال غوزينسكي ردة الفعل السلبية التي أثارها بين الديمقراطيين الروس وخاصة في الغرب، وقد قام صحفيو «ميديا موست» بتنفيذ كل محاولات الكرملين لتبرير اعتقال «غوزينسكي» وهب كل الديمقراطيين والأحرار والنخبة بالدفاع عن «غوزينسكي» لسبب وجيه جداً وهو أنهم رأوا في اعتقاله تهديداً شخصياً لهم، ودخلت أوروبا وكل الغرب على شهذه القضية «اعتقال غوزينسكي» حيث جعلت الصحافة الغربية من قصة قمع مؤسسة «غوزينسكي» الإعلامية قصتها الأولى الأمر الذي أزعج بوتين بشكل كبير قبل أي شيء آخر.

*) وفي نهاية الأمر أطلق سراح «غوزينسكي» وأسقطت التهم التي وجهت ضده ولكن بشكل مؤقت..

*) لقد أثبتت قضية «غوزينسكي» بأن بوتين يستخدم مكتب النائب العام لغايات سياسية وكما قال بعض المراقبين السياسيين بأن بوتين استطاع تحويل هذا المنصب ليكون بمثابة كلب حراسة لنظام بوتين... ووقفت المحاكم ومكتب النائب العام وراء بوتين مستعدان لإثبات أن معارضة النظام لا جدوى يُرجى منها...

*) كان السؤال الذي يراود معظم أفراد الشعب الروسي هو إذا كان بالإمكان اعتقال واحد من أغنى الرجال وأكثرهم نفوذاً في روسيا وإبقاءه في السجن بمثل هذه السهولة وبدون محاكمة عادلة فماذا يمكن أن يتوقع الناس العاديون؟.

إذا كان السؤال السابق قد ردده الكثير من أبناء شعب روسيا فربما كان هذا السؤال ذاته بمثابة رسالة وجهها بوتين لشعب روسيا ولهذا السبب كان مجتمع حقوق الإنسان في روسيا يشعر بقلق جدي إزاء ما يحدث ولكن تأثير ذلك المجتمع الحقوقي كان ضئيلا في تلك الآونة حيث كان ينظر إلى مجتمع حقوق الإنسان على أنه مجتمع من الرومانسيين والمثاليين ولأن تمويل مجتمع حقوق الإنسان كان يأتي من الغرب أساساً فقد كان سببا لاعتبارهم من قبل الكثيرين من الشعب الروسي هذا المجتمع الحقوقي أداة من أدوات النفوذ الغربي والأمريكي بشكل خاص وهو الأمر الذي جعل مجتمع الحقوقيين في روسيا لا يحظى بالاحترام اللائق به.

*) كانت المفاجأة في السبب الرئيسي وراء إطلاق سراح غوزينسكي والذي تم الكشف عنه فيما بعد، فقد تم توقيع اتفاق مع ممثلين عن الدولة قايضوا فيه «غوزينسكي» على مبالغ مالية مقابل حريته، ووافق غوزينسكي على سبيل المثال على بيع «ميديا موست» مكرها كشرط في شروط إسقاط التهم الموجهة ضده وإطلاق

سراحه، وقد اتخذ الاتفاق شكل بروتوكول رسمي حيث وقع من قبل ميخائيل ليسين وزير الصحافة والتليفزيون والاتصالات العامة في روسيا ممثلاً للدولة.

*) لقد تصرف رجال بوتين وهم يمثلون الدولة كما يتصرف أي مبتز دنىء لقد وضعوا «غوزينسكي» في السجن ثم أطلقوا سراحه بدون محاكمة تم ذلك وإطلاق سراحه بمجرد موافقته على التخلص من مؤسسته الإعلامية المثيرة للمشاكل الشخصية مع بوتين.

*) كانت مشكلة «غوزينسكي» واعتقاله بعيدة كل البعد عن «ديكتاتورية القانون» ذلك المبدأ الذي ابتكره بوتين والذي قيل إنه يمثل جوهر نظام حكمه والذي كان يتطلب كما قال بوتين ذاته يتطلب طاعة صارمة للقانون.

# علاقات بوتين بالغرب والمهمة الأكثر صعوبة

## المهمة الأكثر صعوبة

*) حاول بوتين إيجاد علاقات طيبة مع الغرب في صورة عدم مواجهة من أي نوع مع حلف الناتو أو ما يسمى بالتحالف الدولي ضد الإرهـاب بقيادة الحلف الغربي وإقامة علاقات طيبة لروسيا مع الحلف الغربي من جديد وقد فعل هـذا بالرغم من معارضة الجيش الروسي كما دعا رئيس الوزراء البريطاني توني بلير إلى سان بطرسبورغ وأقنعه بأنه كان يسعى لإحياء علاقات كثيرة الدفء بين روسيا والغرب.

كان بوتين يهدف إلى إعادة بناء الجسور مع الغرب بعد تدهور خلال السنوات الأخيرة من عُمر إدارة يلتسين وخاصة بعد ما شهد ربيع العام 1999م توسيع حلف الناتو وقصفه لكوسوفو الأمر الذي جمد العلاقات الروسية مع الغرب وكان واضحاً أيضا قلق بوتين من ردة الفعل السلبية من الغرب تجاه الحرب الشيشانية والأهم من ذلك أن بوتين كان يعي تماماً أهمية الغرب بالنسبة لحل مشاكل روسيا الاقتصادية لقد أظهر بأن غايته هي الانضمام إلى النادي العالمي

وأنه يريد علاقات ممتدة مع الغرب.

قد يفترض المرء بأن بوتين بصفته عضواً سابقاً في الاستخبارات ومع خبرته في الكي جي بي كان في أعماقه يخفي ريبة وانعدام ثقته بالغرب وهذا محتمل في الواقع إذ قد يكون بوتين كالعديد من زملائه في باطنه يتهم الغرب بمحاولة إضعاف روسيا واستغلال ضعفها لمنفعته الخاصة واتباع معايير مزدوجة في سياسته تجاه روسيا على أية حال في الفترة القصيرة الأولى من عمر رئاسته ظل بوتين يستخدم في خطبه فكرة تعدد الأقطاب التي روج لها سلفه (بريماكوف) ولو بحذر مما يعني بأنه إما كان ما يزال يعتقد بوهم «الطريق الخاص» لروسيا أو إنه لم يكن متأكداً من هوية روسيا الجديدة وخطة تطويرها أو أنه لم يكن مستعداً بعد لتحقيق تقدم أعمق ولكن ما هي البلدان أو المجموعات التي يمكن أن تجتذبها روسيا الضعيفة لتكوين واحد من تلك الأقطاب، على أي حال ربما كان بوتين في بداية الأمر مترددا بشأن، وضع خطة عمل معينة ولكن مع سياسته الجديدة تجاه الناتو وأوروبا أصبح واضحاً أنه كان يتحول باتجاه الغرب.

لقد واجه بوتين مهمة أكثر صعوبة من تلك وهي اختيار قاعدته أو المجموعات التي سيعتمد عليها وكان مجال الاختيار في روسيا محدوداً عن طريق ما يدعى بطبقة النخبة وجهاز الدولة بوزاراته

المتعددة اللجان الحكومية والمؤسسات الأخرى التي كانت تشكل العمود الفقري لنظام الحكم. النخب في الأقاليم وأجهزة السلطة الرئيسية أي وزارتـي الـدفـاع والداخلية وأجـهـزة الاستخبارات والشركات التجارية المتوسطة والصغيرة والمجتمع.

لم يكن اختيار تلك القاعدة بالأمر السهل أبداً فمع الأخذ بعين الاعتبار ميل بوتين نحو المركزية لم يكن باستطاعته الثقة بشكل مطلق بالشركات الكبرى التي كانت تمتلك امتيازات ومصالح خاصة والتي أثبتت عدم قدرتها على كبح جشعها مع ذلك لم يكن اختيار تلك القاعدة بالأمر السهل أبداً فمع الأخذ بعين الاعتبار ميل بوتين نحو المركزية لم يكن باستطاعته الثقة بشكل مطلق بالشركات الكبرى التي كانت تمتلك امتيازات ومصالح خاصة والتي أثبتت عدم قدرتها كبح جشعها ومع ذلك لم يكن باستطاعة الزعيم الجديد أو لم يكن يريد أن ينأى بنفسه عن المجموعات المنفذة على الأقل على المدى القصير ولكنه لم يكن مستعداً أبداً ليشارك السلطة مع تلك المجموعات.

بالنسبة لجهاز الدولة فإنه كان يشترك مع بوتين في رغبته بتحقيق السلطة المركزية علاوة على ذلك فقد كان باستطاعة جهاز الدولة بسهولة تأسيس اتحاد مع أجهزة السلطة الرئيسية ولطالما شكل مثل هذا الاتحاد أساس النظام الروسي لكن الاعتماد على هذا الاتحاد

فقط كان أكثر خطورة بالنسبة لبوتين من التحالف مع الجماعات المنفذة والشركات الكبرى فهو كان يعلم بأن مثل هذا الدعم يمكن أن يؤدي إلى إعطاء حركة تطوير السوق وزيادة الانعزالية في السياسة الخارجية بيد أن بوتين كان يفضل ظاهريا على الأقل المحافظة على للعبة الدولية وكما وجدنا من قبل كانت هنالك إشارات على أنه كان يميل إلى تأسيس علاقات طبيعية مع الغرب فإذا كان يريد الحفاظ على هذا المنهج فقد كان يتوجب عليه قطع روابطه مع جهاز الدولة والسيلوفيكي.

ولم يكن المجتمع بدوره قد تطور بما يكفي لكي يؤمن قاعدة من الفئات الاجتماعية التي يمكنها منح دعم ليبرالي للإدارة أما الشركات التجارية المتوسطة والصغيرة في روسيا التي كانت تمتلك المصلحة الأكبر في إرساء قوانين متساوية وشروط منافسة عادلة وإقصاء المجموعات المتنفذة فقد كانت ما تزال ضعيفة جداً كي تشكل دعامة للحكم الجديد والمثقفون كانوا متعبين ومحبطين بعد خيبة أملهم من محاولة الإصلاح السابقة أما بالنسبة للمجتمع المدني بشكل عام، فقد كان ما يزال غير منظم وغير محدد الملامح بعد عقد من التيار الشيوعي وبذلك فهو لم يكن قادراً بعد على تشكيل مصدر ضغط قوي.

وهكذا انتهى الأمر إلى الاختيار بين القوتين السياسيتين

الأساسيتين في روسيا، طبقة النخبة وجهاز الدولة وهاتان القوتان كانتا متشابكتين ومتداخلتين بشكل طبيعي خلال عهد يلتسين وساعد جهاز الدولة طبقة النخبة على الإثراء ونال مقابل تعاونه هذا حصة من المكاسب إلا أن ما كسبه جهاز الدولة من التحول كان أقل بكثير مما كسبته طبقة النخبة ولهذا السبب كان الانتقام والهيمنة يشغلان أذهان أعضاءه كثيراً.

في عهد بوتين اصطدم جهاز الدولة مع طبقة النخبة عدة مرات في الفترة التي تلت تربعه على عرش الكرملين ولم تكن هذه أولى الاصطدامات التي تقع بين جهاز الدولة مع طبقة النخبة ففي أثناء انتخابات عام 1996م وقع اصطدام بين ذمرة تابعة للأكسندر كورجاكوف مدير أمن يلتسين السابق وزعماء من طبقة النخبة أمثال بيريزوفسكي وغوزينسكي وآخرون ولم يقاتل الطرفان فقط من أجل السيطرة على يلتسين بل تقاتلوا أيضا حول طرق مختلفة لتطوير روسيا وحصل التصادم التالي بين طبقة النخبة وجهاز الدولة في أثناء الحرب المصرفية وكان مسار هذا التصادم يرتكز حول خصخصة شركة الاتصالات الروسية العملاقة «سفياز ينفيست» وكانت النتيجة أن انقلبت الأدوار فأصبح التكنوقراطيون الليبراليون ممثلين في «تشوبايس» وذمرته الذين تحولوا إلى بيروقراطيين مركزيين يسعون إلى كبح جماح شهوات مجموعة بيرزوفسكي وغوزينسكي.

وأثناء فترة تولي بيرما كوف رئاسة الوزراء وقع تصادم ثالث بين طبقة النخبة وجهاز الدولة وذلك بوقوف جهاز الدولة وبريما كوف في طرف وطبقة النخبة بقيادة بيريزوفسكي في الطرف الثاني ومع تولي بوتين منصبه كانت هناك إشارات على وقوع تصادم جديد بين طبقة النخبة وجهاز الدولة وكانت هذه الإشارات في بداياتها غير واضحة تماماً لأن بعضاً من الأفراد المحسوبين على طبقة النخبة بقوا في معسكر بوتين وتركز الهجوم الحكومي على اثنين فقط من ممثلي الشركات التجارية الكبرى وهما غوزينسكي وبيرزوفسكي اللذين كانا يحاولان لعب دورا مستقلا في الحياة السياسية علما بأن أنصار البيروقراطية وأجهزة السلطة الرئيسية في النظام كانوا أيضا يطالبون بإخراج أشخاص آخرين في طبقة النخبة من فلك الكرملين غير أن بوتين في سياق تشكيله لقاعدته اختار فيما يبدو الأشخاص الذين ينسجمون مع عقليته أكثر من غيرهم أولئك الذين لا يراهنون بكل شيء على ورقة واحدة والذين يتجنبون المواجهة المباشرة وخاصة مع الأقوياء من الخصوم. والذين يعملون على إضعاف الجميع بشكل طبيعي عن طريق تضييق مساحة مناوراتهم شيئاً فشيء وفي هذا الخصوص ضغط بوتين على السلطة البيروقراطية ولكنه لم يمس هؤلاء الذين أقسموا له على الولاء من طبقة النخبة.

# بوتين في ولايته الثانية

كانت ولاية بوتين الثانية في الفترة من عام 2004 حتى 2008م وكانت الأحداث التي صبغت بداية ولاية بوتين الثانية باللون الداكن جعلت أشد المتفائلين عناداً يشعرون بالقلق حيال تلك الأحداث مثل اغتيال «قاديروف» والحاجة لانتخابات جديدة في الشيشان والأزمة المصرفية، والإصلاح الاجتماعي الذي سبب استياء الشعب الروسي، والتوتر مع جورجيا وأخيراً تصعيد العمليات الإرهابية كل هذه الأشياء كانت أكثر من كافية لإثارة قلق جدي صحيح أن شيئاً لم يكن يهدد سلطة بوتين في ذلك الوقت ولكن كان هناك سؤالان منطقيان بحاجة للإجابة: هل كانت قوته الكامنة قادرة على الاستمرار طوال ولايته الثانية وما هي التهديدات الأكثر خطورة بالنسبة لقيادته؟

بدأ بوتين ولايته الثانية بإظهار أنه كان يدرك مهمته جيداً وأنه كان مستعداً لتحقيقها لكن الطريقة التي اختارها لحل المشاكل الاجتماعية يمكن أن تثير احتجاجاً اجتماعياً وتضعف قاعدة دعمه السياسية في الوقت الذي كان فيه الفريق الحاكم يبحث عن ضمانات لبقائه بعد العام 2008م وكان بوتين محقاً في مشروعه بإصلاح إداري لكنه عندما سلم إعادة هيكلة الدولة إلى مسؤوليه جعل

إصلاحه إصلاحاً مزيفاً وكان محقا في محاولته ترويض الطموحات السياسية والمصالح الذاتية للشركات التجارية الكبرى لكنه عبر إخضاع الشركات إلى الطبقة البيروقراطية، كان يشوه السوق الذي أراد تطويره وكان محقاً أيضا في تخفيف طموحات روسيا باستعادة مكانتها كقوة عظمى لكن أمله أن تؤسس روسيا شراكة مع الغرب وفي نفس الوقت تحافظ على دولتها التقليدية كان وهما في كل مرة كانت السلطات تحاول تطوير أجندة تحديثية كان النظام الذي شكلته بنفسها يقف حائلا دون تحقيق مساعيها.

وهـذه ليست التناقضات الروسية الوحيدة على أي حال فمن خلال التوجه نحو المزيد من المركزية حقق بوتين بعض الانتصارات التكتيكية عبر استعادة السيطرة الكاملة على المقاطعات لكنه من الناحية الاستراتيجية أضعف قيادته وأضعف شرعيتها لأنه من الآن فصاعدا سيكون مسؤولا عن كل الإخفاقات التي وصل إليها يلتسين «سلطة شاملة عاجزة» وهي النتيجة الحتمية لكل سلطة فردية ديكتاتورية من هنا فإن التهديدين الأساسيين المحدقين بروسيا خلال ولاية بوتين الثانية كانا هما: هما دولة ضعيفة ونظام سياسي ضعيف سيحاولان ادعاء القوة والصلابة على أي حال كانت ولاية بوتين الثانية في بدايتها، والحياة يمكن أن تسلك العديد من المنعطفات غير المتوقعة ولم تكن هناك أية قوى في روسيا يمكنها

تقديم استراتيجية بديلة ولهذا السبب كانت روسيا مضطرة لاتباع أسلوب التجربة والخطأ مجربة ونابذه أسلوباً تلو الآخر لعل بوتين كان مقدراً له أن يكون الزعيم الذي سيثبت بأن روسيا قد استنفدت كل أنماطها التقليدية في الحياة والسلطة والفكر كان هناك أمر آخر مثير للقلق: بدأ الرئيس في أغلب الأوقات وكأنه فقد حيويته السابقة كان أشبه برجل نفدت منه طاقته قبل الوصول إلى خط النهاية وأصبح يتحرك بشكل ميكانيكي بدون الرغبة في الفوز كانت عيناه غارقتين لعل ذلك كان ناتجاً عن استنفاد قوته الروحية أو فقدانه للتوازن أو مجرد تعب مؤقت سيتغلب عليه.

على أي حال. كان ما يزال هناك الكثير من الغموض؟ ليس في سياسة الكرملين التي اكتسبت منطقاً محدداً، بل في نتيجتها التي يمكن أن تكون مختلفة عما تتوقعه السلطات وفي هذا الخصوص يمكن للنخبة السياسية الشعبية التي تشيع في موسكو أن تصف بدقة بالغة مشاعر المواطنين الروس وملاحظاتهم في موسكو تستطيع أن تصف بدقة بالغة مشاعر المواطنين الروس وملاحظاتهم في تلك اللحظة: «قال رجل مريض أخذته سيارة إسعاف: إلى أين تأخذونني؟ أجاب الدكتور: إلى مستودع الجثث ولكنني لم أمت بعد فأجابه الطبيب: ونحن لم نصل إلى هناك بعد، إذا روسيا لم تصل إلى هناك بعد والكثير من الأمور يمكن أن تحدث ويبقى السؤال!؟ في

أي اتجاه ستتحرك روسيا في نهاية المطاف ـ نحو نظام فردي أكثر صرامة أم نحو الإبقاء على نظامها الديكتاتوري البيروقراطي الهجين والبدء بعد فهم عوائق هذا النظام وبناء مؤسسات ديمقراطية فعالة مستندة هذه المرة إلى حكم القانون وليس إلى حريات سياسية غير منظمة؟ من الصعب على أي شخص أن يجيب على هذا السؤال الآن... بالفعل، فبعد ولاية بوتين الأولى والثانية وما تلاهما أصبحت فرص الحفاظ على بعض الحريات السياسية على الأقل ـ قليلة جداً. وعلاوة على ذلك كيف يمكن لهذه المؤسسات والآليات أن تكون ديمقراطية إذا كانت غايتها الأساسية هي أن تكون واجهة لنظام غير ديمقراطي؟ ومن ذلك وبالرغم من التطورات الباعثة على الاكتئاب التي شهدتها روسيا فما زال الوقت مبكراً جداً لدفن الديمقراطية اللبرالية في هذا البلد.

ما زال المجتمع الروسي يتخبط وينتظر بعض الروس يبحثون عن الهدوء والسكينة في السلطة الفردية لهذا السبب فهم يوافقون على السلطة المركزية المفرطة لبوتين ولكن في نفس الوقت إن قابلية الروس للتقدم إلى الأمام دون الالتفاف إلى الوراء يتعزز بشكل تدريجي ـ لقد تطلب الأمر منهم عشرين عاماً بدءا من بيريسترويكا غروباتشوف في العام 1985م ـ للتخلي عن عدد قليل جداً من التقاليد وأنماط الحياة وذهنية اعتادوا عليها أي ما كان يُشكل النظام

الروسي ـ القالب الذي كان يجسد روسيا نعم عشرون عاماً زمن طويل بالنسبة لحياة الإنسان لكنه مرحلة قصيرة في التاريخ مجرد ومضه على أي حال ليس واضحاً بعد كم سيستغرق البلد كي يتخلص من البقايا الأخيرة للنظام القديم وما هو الثمن الذي سيدفعه من أجل تحرره نهائياً من الديكتاتورية ومحاولات لعب دور القوة العظمى والسعي «للفراده».

لقد نبذ الشعب الروسي مع بداية القرن الجديد كما آمل الادعاءات بأن تكون روسيا قطبا ذا حضارة مختلفة ولكن إذا كان هذا البلد سيتحرك باتجاه الغرب فسيكون عليه معرفة الأشكال التي يمكن أن يتخذها ذلك التحرك والمسالك التي يمكن أن يتبعها، ينبغي على الروس أن يحموا أنفسهم من أوهام جديدة وتطلعات غير منطقية وأن يتعلموا كيف يتعاملون مع الإحباطات والآلام الحتمية وأخيراً ينبغي على الروس أن يتغلبوا على الإغراء الأساسي الجديد المتعلق باتباع ما يبدو أنه الطريق الأسهل: وتقليد السوق والديمقراطية في جوانبهما السطحية والمحافظة في العمق على علاقات الراعي والزبون وحكم الأقلية والحكم بدون محاسبة.

إن التحالف الذي عقدته روسيا مع الغرب يتضمن ليس فقط إمكانية التطور إلى شراكة حقيقية وإلى اندماج روسيا في الغرب بل يتضمن أيضا تهديداً باغتراب روسي جديد صحيح أنه من المستبعد

أن ترجع روسيا إلى عدائها السابق تجاه الحضارة الغربية إذا ما حصلت إساءات فهم جديدة وصراعات في المصالح مع الغرب إلا أنها قد تصاب باليأس وعدم الرضا عن أي شخص وأي شيء بما فيها روسيا نفسها حتى الآن اتخذ التحالف بين روسيا والغرب شكل الصفقة الفاوست «أي على حساب القيم» وجوهر هذه الصفقة بسيط جداً، الغرب يضم روسيا إليه من تعزيز الجوار حول الطاقة وفي نفس الوقت يغمض عينيه عن مدى بُعد روسيا عن أن تكون دولة ديمقراطية ليبرالية وعلاوة على ذلك يستمر الغرب في النظر إلى قيادة روسيا باعتبارها الضمان الأساسية الفردية وبدورها تحل روسيا مشكلة الموارد الخارجية من أجل مسألة تحديثها وتحتفظ في الوقت نفسه بالقواعد القديمة للعبة في الداخل.

للصفقة الفاوستية مؤيديها بين كل من أولئك الذين يعتبرون روسيا مجرد حليف في السعي لتحقيق أهداف معينة وأولئك الذين ما زالوا يعتبرون روسيا بلدا عدوانيا يمثل تجسيداً للشر وأولئك الذين يفضلون أن تبقى روسيا في موقعها الحالي على الحدود الخارجية للحضارة الغربية، كستار يفصل الغرب عن الصين وفي روسيا بعبارة أخرى أن الشراكة الحالية بين روسيا والغرب تساعد في الحفاظ على الديكتاتورية البيروقراطية في روسيا.

إن ضم روسيا إلى الفلك الغربي على قاعدة وجود بعض المصالح

الجيوسياسية المتبادلة ما هو إلا اندماج طرفي مؤقت أما الشىء الوحيد الذي يمكن أن يضمن تحقيق اندماج حقيقي لروسيا في المجتمع الغربي فهو وجود قيم مشتركة بين الطرفين وعلى هذا الأساس سيتوجب على روسيا أن تتبنى بالكامل المبادئ الديمقراطية الليبرالية وتنبذ أي محاولة لتفضيل المؤسسات الديمقراطية وفقا لاحتياجات السلطة الفردية والدولة البيروقراطية عندئذ فقط يمكن لروسيا أن تعقد «شراكة بناءة» مع الغرب.

في البداية ستكون تلك الشراكة غير متكافئة حتماً، وخاصة في المجال الاقتصادي والتحدي الجدي الذي تواجهه روسيا هو التخلي عن فكرة التوازن العسكري مع الولايات المتحدة والاعتراف بإمكانيتها المحدودة الحالية وتحويل مواردها لكي تصب في بناء مجتمع غني هذه المرة لإرضاء شعبها وليس غرورها إن التخلي عن طموحاتها العالية الآن لا يستثنى إمكانية بروز روسيا في المستقبل كقوة إقليمية مزدهرة اقتصاديا وربما كقوة عالية أيضا، ولكن من أجل مستقبلها بالذات سيتوجب على روسيا ـ والغرب ـ أن تنهيا لعبة التزييف والتقليد المخزية لكل المشتركين فيها والمدمرة لروسيا.

هل الشعب الروسي مستعد لنبذ المحاولات الساعية للجمع ما بين المتناقضات والتوجه إلى الغرب مع طموحات القوة العظمى على الطريقة السوفياتية الديمقراطية مع السلطة الفردية السوق مع

الدور المنظم للبيروقراطية؟ هل هو مستعد لنبذ فكرة القوة العظمى المستندة إلى القوة العسكرية؟ إن البيانات المذكورة في هذا الكتاب توحي بأن الكثير من الشعب الروسي أصبح ناضجا بما يكفي كي يرغب بالاندماج مع نظام ذي قيم ليبرالية.

لكن الكثيرين في الطبقة السياسية ليسوا مستعدين للتخلي عن سعيهم للسيطرة ونبذ الحقوق الوراثية وترك الشبكات المشبوهة والتغلب على حنينهم للماضي الإمبريالي أولئك الذين يعتبرون أنفسهم نخبة المجتمع يخافون من التخلي عن مفاتيح التحكم لأنهم لم يعتادوا على العيش في مجتمع حر. إنهم يرتعبون من المنافسة ويخافون من شعبهم ومن أي بدائل... وهم يعتمدون على الشرطة والأجهزة الأمنية والجيش وجهاز الدولة لأنهم يعتبرونها شبكة أمنهم وضمانة بقائهم.. إن عجزهم ونفقاتهم الضعيفة وقلة خبرتهم وافتقارهم للعيش في بيئة من الحوار والتوافق كل هذا يدفعهم لتدمير كل منافسيهم المحتملين الطبقة السياسية في روسيا المهووسة بالحفاظ على الذات هي التي تحاول إعادة إحياء العناصر القديمة في اللاوعي الشعبي وتعزيز الشك في الغرب والخوف من الانفتاح والحنين للماضي المفقود إن القوة العظمى والاستبدادية هما القلعتان الأخيرتان لأولئك الذين لا يعرفون كيف يعيشون ويحكمون وفق أسلوب جديد وكلما فقدت الطبقة السياسية الروسية سيطرتها

على التطورات كلما ازداد شعورها بالعجز وممسكها بالدولة التقليدية وأدواتها الإكراه أو التهديد بالإكراه لقد أرغم بوتين الطبقة الحاكمة على قبول تحوله نحو الغرب فما كان من النخبة والانتهازية إلا إن اتبعت الزعيم صاغرة كما هي العادة في روسيا.

*) واستمر بوتين في حكم روسيا على نظام فترة رئاسته الثانية وتكرر نفس السيناريوهات عند تدخله في سوريا وفي شئون عالمية أخرى استمرت حتى وقت كتابة هذه السطور عام 2017م.

*) بوتين راحل... راحل... عن روسيا... ولكن ترى ما هو حال روسيا بعد بوتين؟!

# ختاماً
# ماذا بعد بوتين؟!

سؤال ردده كثير من المراقبين السياسيين... ماذا بعد بوتين؟.. حتما يوما سيرحل بوتين... وسواء كان يتم تجهيز البديل حالياً أم لم يتم تجهيزه فحتما سيرحل بوتين.. ويبقى السؤال.. ماذا بعد بوتين

*) لقد أظهر التاريخ في عهدي يلتسين وبوتين أن ثمة تحولات تاريخية حدثت فعلاً في العالم وأنه ينبغي النظر إلى الكثير من الأشياء بمنظار جديد، وبالنسبة لروسيا فالشيء الذي يبدو عقبة خلال التطور التاريخي الطبيعي للعالم قد يتبين بأنه نعمة عندما يكون هناك مجتمعا متحضراً انتقاليا في خضم بحثه عن هوية جديدة، ولهذا السبب يمكن القول إنه بعد بوتين ما يزال حدوث اتحاد كامل بين المجتمع والحكم في روسيا مستحيلاً، واليوم عندما ننظر إلى روسيا قبل رحيل بوتين فإننا نرى أن النظام الديكتاتوري البيروقراطي في روسيا لا يمكن اعتباره قالبا أسمنتيا واحداً لذلك نقول إنه بعد بوتين فإن التحرك باتجاه أكثر إيجابية ما يزال ممكنا.

*) الحقيقة التي لا جدال فيها أن الصراعات والنزاعات التي

أعيد إحياؤها في روسيا زمن بوتين بالرغم من محاولات الكرملين للسيطرة على كل شيء تعتبر محاولات جيدة أكثر مما هي سيئة. ويقول أنصار بوتين إن النزاعات في زمن بوتين في روسيا دليل على أن هذا البلد ما يزال حياً، وأن المصالح دائما تتشكل خلال النزاعات، كما أن الصراع لا يسمح للنظام بالتصلب هكذا يقولون.

*) يمكن القول إن العامل الأكثر إيجابية من الصراع في روسيا هو تلك العفوية الموجودة في الشعب وتنامي استقلاليته..

*) في زمن بوتين يقول 45% من الشعب الروسي بأن الدولة ليس لها أي دور على الإطلاق في حياتهم فهل سيستمر ذلك بعد بوتين؟!

*) يقول أنصار بوتين إن المجتمع الروسي والدولة أصبحا يسيران في مسارين متوازيين وهو غير مفيد لهما معاً ولكن المفيد هو خروج الناس من ظل وحشي الدولة والعيش باستقلالية وإنه لن يطول الوقت بعد بوتين حتى يتمكنوا من بناء شكل جديد من الدولة يخدم مصالحهم الخاصة، وفي غضون ذلك يمكن القول إنه بعد بوتين ستظل روسيا تحتفظ بنوع من العفوية والعناد اللذان يسمحان للمجتمع الروسي للتنفس من جديد، وعندما يرى المواطن الروسي في زمن بوتين أن جهاز الدولة يحاول السيطرة على الحياة السياسية والاقتصادية للمواطن الروسي، فإن المواطن الروسي في ذلك الوقت يقول إنني لابد أن أفكر في نفسي وأقول، كلما ازدادت العفوية كلما

كان ذلك أفضل لنا في الوقت الحالي على الأقل وهو زمن بوتين..

في الواقع يمكن القول إن المحصلة النهائية التي ربما تحدث بعد بوتين ستعتمد على الجيل الذي سيحل محل الشراع الأخيرة من النخبة السوفياتية، ومَنْ هم الناس الذين سيحتلون المشهد السياسي بعد بوتين، إنهم حتما الناس الذين نشأوا في عهود جورباتشوف ويلتسين، وبوتين، ونحن نعلم بأن هؤلاء لا يهتمون مطلقاً بالإيدلوجيا، إن معظم أبناء الجيل الجديد من الروس لا يتذكرون تاريخ الديكتاتورية الروسية جيداً وأن العديد منهم متشككون أو يبدون كمتشككين.

ما بعد بوتين سنجد قيادات وقادة ليسوا جبناء ولم يعرفوا الخوف أبداً ولم تعد غرائز العبيد موجودة فيهم وهذه ظاهرة جديدة تماما في روسيا، وستكون نخبتها المستقلة متحررة من العقد والمخاوف التي أثقلت كاهل الطبقات الحاكمة في روسيا منذ قرون.

*) في زمن بوتين شهدت الحياة السياسية الروسية معارك التصور في المستويات العليا والدنيا.. ترى ماذا سيحدث بعد بوتين، هل ستكون هناك محاولات من جانب الطبقة السياسية لتأسيس نظام سياسي يتناسب مع احتياجات المستقبل من أجل ضمان وضع مستقر لروسيا..

*) بعد بوتين لابد أن تكون النخبة والدوما والكرملين على استعداد لانتقال شرعي سلمي للسلطة من فلاديمير بوتين إلى خلفه

الذي سيكون منتخبا ديمقراطيا وليس المعين هذه المرة كما حدث مع بوتين.

*) بعد بوتين سيتوجب على الروس ألا يسقطوا بل عليهم أن ينهضوا كعادتهم بعد كل مرة يسقطون فيها.

*) في زمن بوتين لم تكن علاقة روسيا بالغرب كما ينبغي أن تكون وبعد بوتين سيتوجب على روسيا والغرب أن يدعما علاقتهما أكثر ومن غير المحتمل أنهما سيتجنبان الشكوك والاستياءات المتبادلة لأن الاقتصاد الروسي في زمن بوتين ما يزال غير مستقر ومعرض للهزات لأنه أصبح مرتبطا بالاقتصاد العالمي ولأنه ما يزال غير منتظم، ترى هل سيتغير ذلك الوضع بعد بوتين.

*) هناك فريق من المراقبين السياسيين يرون أنه بعد بوتين لسوء الحظ لا يمكن استبعاد احتمال حدوث محنة أخرى في روسيا مع استبدادية أكثر قساوة إذ من غير الواضح كيف سيتصرف أولئك الذين سيحكمون روسيا بعد بوتين إذا ما وقعت أزمة ما أو عند محاولتهم التشبث بسلطتهم.

*) بعد بوتين ماذا لو أن الحاشية الجديدة قرت بدافع في شعور قادتهم باليأس والانحشار في الزاوية بأن الطريقة الوحيدة لحل المشاكل التي ستواجه روسيا هي اللجوء إلى العنف وقلب الطاولة؟ إن النتيجة الواضحة جداً هي أن هذا الأسلوب سيفشل تماماً لأن

أي سلطة قادمة بعد بوتين لا تملك القوة لإرجاع المجتمع الروسي إلى القفص، لأن المجتمع الروسي بعد بوتين أصبح أكثر اعتيادا على العيش بحرية ولو أنها حرية محدودة كما يقول المراقبون السياسيون.

*) وهناك سؤال يردده المراقبون السياسيون دائماً وهو هل سيكون بعد رحيل بوتين المزيد من خيبات الأمل المخبأة للشعب الروسي والإجابة أنه حتما بعد بوتين سيحرص أي رئيس جديد على الاستقرار والتصحيح والإصلاح لأن روسيا على الرغم من كل نكساتها وآلامها وفضائحها المتعبة ليست فقط قادرة على أن تحافظ على بقائها واستمراريتها، بل روسيا الفتية قادرة على أن تتحرك للأمام.. ومع أنها تعرج.. إلا أنها قادرة على الحركة فعلاً بعد «بوتين» ستتحرك روسيا حتما نحو المستقبل وإلى الأمام وهو ما أراه شخصيا وأعتقد أنه يشاركني الكثيرين في تلك الرؤيا.

# فهرس المحتويات